العدد «١١» السنة الأولى - محرم - صفر ١٤٠٣هـ نوفمبر - ١٩٨٣م



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

• المجد لكم
وانتم تحاصرون سجانيكم

• لبنان:
ما بعد وقف إطلاق النار

• ليبيا:
النظام... المعارضة: الاسلام

• ملاحظات
حول المهمة التاريخية



بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

المجد لكم وانتم تحاصرون سجانيكم

منذ بداية الإحتلال الصهيوني للضفة الغربية وقطاع غزة وقوات العدو الكافر تتجنب أي محاولة استفزاز تحمل طابعا دينيا واضحا للجماهير الفلسطينية . وفي السنوات الأخيرة ومع تصاعد الوعي الإسلامي في الوطن المحتل وصعود الحركة الإسلامية نحو مواقع جماهيرية متقدمة لجأ العدو الصهيوني إلى سياسية جديدة ، فهو من ناحية لا يريد أن يساهم في إشعال الفعل الإسلامي لدى الأمة وبالتالي فقد حاذر من الصدام المباشر مع الإسلاميين ، ومن ناحية آخرى لا يستطيع السكوت عن الشباب المسلم وهو يحث الخطى من أجل تعبئة الأمة وتصعيدها بإتجاه البعد الحقيقي للصراع ، وبالتالي فقد بث عملائه في كل مكان لمراقبة نشاطات الشباب المسلمين ومارس كل أساليب المضايقة اليومية ثم حاول أن يعزل بين الفعاليات الإسلامية والناس حين بدأ بمحاولة إرهاب جماهير الأمة الملتفة حول طلائعها الإسلامية .

ولكن كل محاولات العدو الكافر لمحاصرة العمل الإسلامي ومنعه من التصاعد قد باءت بالفشل . ويوما بعد يوم كانت أصالة الأمة تزداد وضوحا وروحها الإسلامية الفذة تسطع في كل قرى ومدن الوطن المحتل .

قبل أعوام قليلة كان لاكتشاف «أسرة الجهاد» في الجليل الأعلى أثر الزلزال على العدو الكافر الذي اهتزت كل مؤسساته وهي تحاول ملاحقة الأسباب التي جعلت أبناء الجليل يلتحقون بركب الاسلام المتقدم إلى دائرة الصراع (!) .

وفي السنة الأخيرة كان الأبناء البواسل للحركة الإسلامية في فلسطين ينتشرون على طول الوطن وعرضه ، يقودون الحركة الطلابية في الجامعات ، يعيدون للمساجد دورها القيادي داخل المجتمع ، يقودون مظاهرات الأمة وحركات احتجاجها يتقدمون بأمتهم نحو الإسلام العزيز في كل مواقع الحياة : في المدارس ، في المعامل ، في المنازل والحارات . وجميعا يتحركون بالإسلام نحو خط الصراع الأول .. في المواقع الأولى لجبهة الحق كله ضد الباطل كله .

كان شهر رمضان الماضي أحد علامات التحول الكبير الذي يعيد الآن بناء الأمة في فلسطين ، حين تجمع الآلاف من الرجال والنساء والأطفال على مدى ثلاثة أيام داخل

الأقصى يجددون العهد بمواصلة المسير على المنهج الإلهي حتى يتحقق نصر الله. وأيضا في صلاة «الجمعة اليتيمة» –يوم القدس– حين احتشد ما يقرب من ربع مليون مسلم من فلسطين داخل الحرم القدسي الشريف وهم يصرخون «بالله أكبر» رمز المسير الإسلامي الكبير باتجاه الثورة المظفرة.

وقد توالت الأحداث من انتفاضة الخليل، مدينة الصمود والصلابة النادرة ضد محاولات التهويد.. إلى الشجاعة غير العادية لأبناء شمال قطاع غزة الذين تحدوا مجنزرات العدو وجنوده وأقاموا صلاة عيدهم في العراء يقودهم الأستاذ الشيخ عبدالعزيز عوده.

بلاشك، كانت الأشهر القليلة الماضية –ورغم كل المؤامرات والتشكيك– مرحلة جديدة في تاريخ فلسطين الحديث، بل وفي تاريخ الصراع كله مع اليهود، فقد أصبح واضحا وجليا ان الفعاليات الثورية الأصيلة للحركة الإسلامية الفلسطينية قد أثبتت مصداقية نضالها وأن الجماهير الفلسطينية بمئات الآلوف قد بدأت في التعرف على طريقها ومنهج قيامها وطلائعها الباسلة.

وعلى الجانب الآخر كان العدو الكافر يراقب مذعورا هذا المد الإسلامي الهائل، وفي نهاية الأمر قرر أن يضرب ضربته قبل أن يغرق الموج القادم كل وجوده المصطنع.

وهكذا تعرضت الحركة الإسلامية في الوطن المحتل لأشرس ضربه وجهت للإسلاميين هناك منذ حزيران السابع والستين، فقد داهمت قوات الاحتلال منازل عشرات الشباب المسلمين طوال شهر سبتمبر الماضي وألقت القبض عليهم بعد تفتيش فاشيستي لأوراقهم وكتبهم، في نفس الوقت الذي كانت فيه تزرع الطرقات بنقاط التفتيش للقبض على من يتحرك على الطرقات، وتعتز «الطليعة الإسلامية» اعتزازا كبيرا وقد أصبحت بطاقة الوعي والثورة في أيدي كل الأجيال الفلسطينية في الوطن المحتل، أنها كانت مستهدفة أيضا في تلك الهجمة الشرسة، فبعد أن أصدرت سلطات الاحتلال قرارا وزع على كل مدارس الضفة والقطاع يقضي بطرد كل طالب توجد معه نسخة من «الطليعة الإسلامية» فقد أصبحت دوريات كلابة تلاحق وتعتقل كل الشباب المسلمين الذين توجد المجلة في حوزتهم. وفي ظهر يوم الأحد ١٩ ذو الحجة– ٢٦ سبتمبر كانت قرارات الحكم العسكري بالإقامة الجبرية لمدد تتراوح بين ثلاث وستة شهور تسلم لأربعة من أطهر وأصلب طلائع شعبنا في الوطن المحتل:

١– الاستاذ الشيخ عبدالعزيز عوده المدرس في الجامعة الإسلامية بغزة
٢– د. فتحي عبدالعزيز الطبيب في مستشفى المطلع بالقدس
٣– د. محمد جودة الطبيب في مستشفى المقاصد بالقدس
٤– الأستاذ رمضان شلّح المدرس في الجامعة الإسلامية.

في اليوم التالي ذهب د. فتحي عبدالعزيز لمراجعة سلطات الحكم العسكري لاثبات وجوده في منطقة الاقامة الجبرية ولكنه لم يعد حتى كتابة هذه الافتتاحية. والخطر مازال يحيط بالآخرين.

الواضح من مجرى الأحداث: أن العدو الكافر قد فتح النار بأقصى ما يستطيعه في مواجهة الحركة الإسلامية –طليعة شعبنا الصامد المجاهد في الوطن المحتل وهو بذلك يحث الخطى باتجاه تهويد كل الوطن وتصفية كل القضية وقهر كل الأمة.... أو هكذا يظنون.

أن شعبنا الباسل الذي قاوم الغزاة كل هذه السنوات ولازال لن تهزمه هجمة العدو الكافر على أبناءه هذه المرة، وهو يدرك أن حرب القرون الطويلة توضع اليوم على قواعدها التي كانت عليها يوم أنزل الله الكتاب: الإسلام كله في مواجهة الكفر كله. وهكذا يجب أن تكون. شعبنا الذي قدم إجابته في عين الحلوه وبيروت والذي قدمها في ساحة الحرم القدسي الشريف وفي الخليل سيعرف اليوم أيضا كيف يجعل من سجن ومطاردة ابناءه البواسل بداية نحو انطلاق جديد.

إن المسلمين جميعا مطالبون اليوم وأكثر من أي وقت مضى برفع أصواتهم تضامنا مع المسلمين الفلسطينيين الذين يتعرضون الآن لأكثر الأوقات حسما في تاريخهم والمؤامرة تتسع وتتشابك حولهم في بيروت والبقاع ودمشق وعمان وفي داخل الوطن المحتل، إن الأمة مطالبة اليوم بأن تنهض، بأن تصرخ بأن تثبت حقيقة وجودها المليوني الممتد على طول الوطن الإسلامي وعرضه والا فإن هذا الغزو اليهودي الغربي لن يقف عند حد.

في داخل الوطن المحتل اليوم تبدأ التواريخ الجديدة ويقف الإسلاميون، كل الإسلاميين أمام مسئولياتهم فالأمة لن تعرف إلا من يدافع عنها وعن شرف وعزة عقيدتها، الأمة لن ترحم من يتقاعسون.. من يوجهون حرابهم إلى صدور إخوتهم.. من يحولون الساحة الإسلامية إلى ساحة صراع وينسون عدوهم الأساسي، من يكسرون الوحدة التي ارادها الله على صخرة الأهواء الشخصية وضيق الأفق. إنها لحظات للإصالة والتضامن.. لحظات للوحدة.. وحدة العقيدة والمعركة الواحدة ومن يتخلف عنها يتخلف عن حركة الأمة كلها ويغيب عن الأيام المبدعة للتواريخ الجديدة.

* المجد لكم يا أخوتنا البواسل في داخل فلسطين وأنتم تدفعون بأكفكم وصدوركم أشرس الهجمات على كل أمتنا الإسلامية... على تاريخها ومستقبلها.

* المجد لكم وأنتم تقفون كالأشجار تعطون للجماهير الفلسطينية ملامحها الحقيقية، صمودا وثراءا وأصالة.

* المجد لكم في شوارع فلسطين وقراها.. في مساجدها ومدارسها وجامعاتها.. في حقولها وكل منازلها. والمجد لكم في سجون العدو الكافر وأنتم تحاصرون سجانيكم.

الطليعة الإسلامية

دستور الحكم الصالح

المعلم الشهيد سيد قطب

هذا الدرس في سورة الكهف قوامه قصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الشرق وإلى الغرب وإلى الوسط، وبناؤه للسد في وجه يأجوج ومأجوج.

والسياق يحكي عن ذي القرنين قوله بعد بناء السد: «قال: هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا».. ثم يعقب الوعد الحق، بالنفخ في الصور ومشهد من مشاهد القيامة.. ثم تختم السورة بثلاثة مقاطع، يبدأ كل مقطع منها: بقوله: «قل».

وهذه المقاطع تلخص موضوعات السورة الرئيسية واتجاهاتها العامة. وكأنما هي الإيقاعات الأخيرة القوية في اللحن المتناسق..

وتبدأ قصة ذي القرنين على النحو التالي:

«ويسألونك عن ذي القرنين. قل: سأتلو عليكم منه ذكراً»..

وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة فقال: «حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن وقد يكون هذا القول صحيحا. ولكننا لا نملك وسائل تمحيصه. ذلك أنه لا يمكن البحث في التاريخ المدون عن ذي القرنين الذي يقص القرآن طرفا من سيرته، شأنه شأن كثير من القصص الوارد في القرآن كقصص قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم. فالتاريخ مولود حديث العهد جدا بالقياس إلى عمر البشرية، وقد جرت قبل هذا التاريخ المدون أحداث كثيرة لا يعرف عنها شيئا. فليس هو الذي يستفتى فيها!

ولو قد سلمت التوراة من التحريف والزيادات لكانت مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث ولكن التوارة أحيطت بالأساطير التي لاشك في كونها أساطير. وشحنت كذلك بالروايات التي لاشك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله. فلن تعد التوراة مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص التاريخي. وإذان فلم يبق إلا القرآن. الذي حفظ من التحريف والتبديل. هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التاريخي.

ومن البديهي أنه لا تجوز محاكمة القرآن الكريم إلى التاريخ لسببين واضحين:

أولهما: أن التاريخ مولود حديث العهد، فاتته أحداث لا تحصى في تاريخ البشرية، لم يعلم عنها شيئا. والقرآن يروي بعض هذه الأحداث التي ليس لها لدى التاريخ علم عنها!

وثانيهما: أن التاريخ -وإن وعي بعض هذه الأحداث- هو عمل من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف. ونحن نشهد في زماننا هذا -الذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص- أن

الخبر الواحد أو الحادث الواحد يروي على أوجه شتى، وينظر إليه من زوايا مختلفة، ويفسر تفسيرات متناقضة. ومن مثل هذا الركام يصنع التاريخ، مهما قيل بعد ذلك في التمحيص والتدقيق!

فمجرد الكلام عن استفتاء التاريخ فيما جاء به القرآن الكريم من القصص، كلام تنكره القواعد العلمية المقررة التي ارتضاها البشر، قبل أن تنكره العقيدة التي تقرر أن القرآن هو القول الفصل. وهو كلام لا يقول به مؤمن بالقرآن، ولا مؤمن بوسائل البحث العلمي على السواء. إنما هو مراء!!!

لقد سأل سائلون عن ذي القرنين: سألوا الرسول ﷺ فأوحى إليه الله بما هو وارد هنا من سيرته. وليس أمامنا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة. فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم. وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة، ولكنها لا تعتمد على يقين.. وينبغي أن تؤخذ بحذر، لما فيها من إسرائيليات وأساطير.

وقد سجل السياق القرآني لذي القرنين ثلاث رحلات: واحدة الى المغرب، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السدين.. فلنتابع السياق في هذه الرحلات الثلاث.

يبدأ الحديث عن ذي القرنين بشيء عنه.

«إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا»..

لقد مكن الله له في الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع.. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة. «فأتبع سببا». ومضى في وجه مما هو ميسر له، وسلك طريقه إلى الغرب.

«حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة، ووجد عندها قوما. قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً. قال: أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا».

ومغرب الشمس هو المكان الذي يرى الرائي أن الشمس تغرب عنده وراء الأفق. وهو يختلف بالنسبة للمواضيع. فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف جبل. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر.

والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي -وكان يسمى بحر الظلمات ويظن أن اليابسة تنتهي عنده- فرأى الشمس تغرب فيه.

والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار. حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ. وتوجد البرك وكأنها عيون الماء.. فرأى الشمس تغرب هناك و«وجدها تغرب في عين حمئة».. ولكن يتعذر علينا تحديد المكان، لأن النص لا يحدده. وليس لنا مصدر آخر موثوق به نعتمد عليه في تحديده. وكل قول غير هذا ليس مأمونا لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح.

عند هذه الحمئة وجد ذو القرنين قوما: «قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا».

كيف قال الله هذا القول لذي القرنين؟ أكان ذلك وحيا اليه أم إنه حكاية حال. إذ سلطة الله على القوم، وترك له التصرف في أمرهم فكأنما قيل له: دونك وإياهم. فإما أن تعذب وأما أن تتخذ فيهم حسنا؟ كلا القولين ممكن، ولا مانع من فهم النص على هذا الوجه أو ذاك. والمهم أن ذا القرنين أعلن دستوره في معاملة البلاد المفتوحة، التي دان له أهلها وسلطة الله عليها.

«قال: أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا».

أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه، وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم

عذابا فظيعا «نكرا» لا نظير له فيما يعرفه البشر. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير.

وهذا هو دستور الحكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم. والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء.. وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا، ومكانا كريما وعونا وتيسيرا، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة.. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة؛ وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون. فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد.

ثم عاد ذو القرنين من رحلة المغرب إلى رحلة المشرق، ممكنا له في الأرض، ميسرة له الأسباب:

«ثم أتبع سببا. حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا».

وما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها. فالمقصود هو مطلعها من الأفق الشرقي في عين الرائي. والقرآن لم يحدد المكان. ولكنه وصف طبيعته وحال القوم الذي وجدهم ذو القرنين هناك: «حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا».. أي أنها أرض مكشوفة. لا تحجبها عن الشمس مرتفعات ولا أشجار. فالشمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر. وهذا الوصف ينطبق على الصحاري والسهوب الواسعة. فهو لا يحدد مكانا بعينه. وكل ما نرجحه أن هذا المكان كان في أقصى الشرق حيث يجد الرائي أن الشمس تطلع على هذه الأرض المستوية المكشوفة. وقد يكون ذلك على شاطئ إفريقية الشرقي. وهناك احتمال لأن يكون المقصود بقوله: «لم نجعل لهم من دونها سترا» أنهم قوم عراة الأجسام لم يجعل لهم سترا من الشمس..

ولقد أعلن ذو القرنين من قبل دستوره في الحكم، فلم يتكرر بيانه هنا، ولا تصرفه في رحلة المشرق لأنه معروف من قبل. وقد علم الله كل ما لديه من أفكار واتجاهات.

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفني في العرض.. فإن المشهد الذي يعرضه السياق هو مشهد مكشوف في الطبيعة: الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر. وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله.. وكذلك يتناسق المشهد في الطبيعة وفي ضمير ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة.

«ثم أتبع سببا. حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا: يا ذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا؟ قال: ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. آتوني زبر الحديد. حتى إذا ساوى بين الصدفين قال: انفخوا. حتى إذا جعله نارا قال: آتوني أفرغ عليه قطرا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا. قال: هذا رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا».

ونحن لا نستطيع أن نجزم بشيء عن المكان الذي بلغ إليه ذو القرنين «بين السدين» ولا ما هما هذان السدان. كل ما يؤخذ من النص أنه وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين، أو بين سدين صناعيين. تفصلهما فجوة أو ممر. فوجد هنالك قوما متخلفين: «لا يكادون يفقهون قولا».

وعندما وجدوه فاتحا قويا، وتوسموا فيه القدرة والصلاح.. عرضوا عليه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين، ويغيرون عليهم من ذلك الممر، فيعيثون في أرضهم فسادا؛ ولا يقدرون هم على دفعهم وصدهم.. وذلك في مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم.

وتبعا للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال، وتطوع بإقامة السد؛ ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين؛ فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية: «فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. آتوني زبر الحديد».. فجمعوا له قطع الحديد، وكوموها في الفتحة بين الحاجزين، فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما. «حتى إذا ساوى بين الصدفين» وأصبح الركام بمساواة القمتين «قال: انفخوا» على النار لتسخين الحديد «حتى إذا جعله نارا» كله لشدة توهجه واحمراره «قال: آتوني أفرغ عليه قطرا» أي نحاسا مذابا يتخلل الحديد، ويختلط به فيزيده صلابة.

وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد؛ فوجد إن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته. وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين، وسجله في كتابه الخالد سبقا للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله.

بذلك التحم الحاجزان، وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج «فما اسطاعوا أن يظهروه» ويتسوروه «وما استطاعوا له نقباً» فينفذوا منه. وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف المتخلفين. فأمنوا واطمأنوا.

ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم. ولكنه ذكر الله فشكره. ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه. وتبرأ من قوته إلى قوة الله، فوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجرد مستويا.

«قال: هذا رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء. وكان وعد ربي حقا»..

وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين. النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقا وغربا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه.. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والاصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق. ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله.

لبنان :
ما بعد وقف إطلاق النار

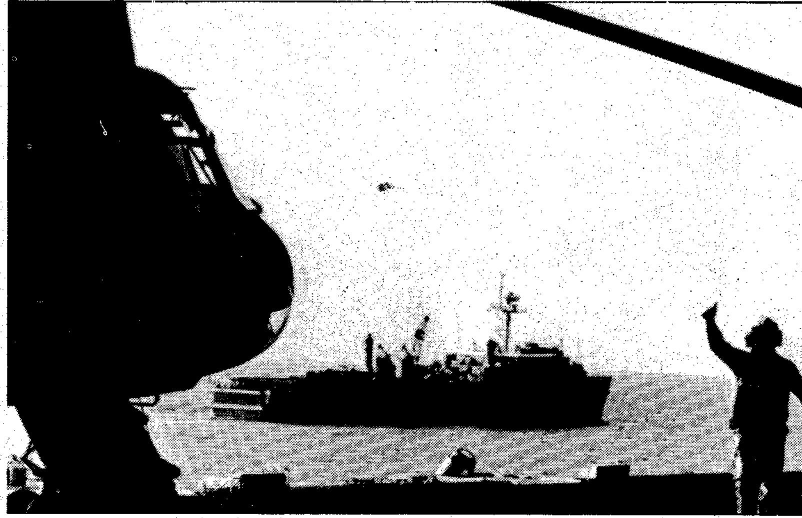
لم يصل لبنان إلى درجة من الفوضى والتمزق كما وصل مع انفجار معركة الجبل التي اندلعت مباشرة عقب انسحاب قوات الاحتلال الصهيونية. مرة واحدة وفي مشهد لم يحدث منذ الحرب الثانية واذا بالقوات الأميركية.. الفرنسية... الايطالية... البريطانية معا إلى جانب قوات حكومة أمين الجميل الكتائبية المارونية إضافة إلى قوات العدو الصهيوني الباقية في الجنوب استعدادا للتدخل مرة أخرى. فيما تقف على الجانب الآخر قوات وليد جنبلاط (الدروز) تدعمها القوات السورية ومن ورائها عسكريا وسياسيا السوفييت. على مسافة قصيرة قوات «فتح» المنشقة على نفسها تتوزع المواقع في البقاع، المنشقون يراقبون المشهد وسط احتمالات متعددة ويحلمون بتقدم كبير للجانب السوري علّه يحملهم إلى بيروت ثانية حيث ينصب أبو موس رسميا على رأس منظمة تحرير جديدة تلتزم الخط السوري. القوات الموالية لعرفات تحاول جهدها المحافظة عيل مواقعها تنتظر هي الأخرى الفرصة المواتية للتقدم إلى مواقع جديدة في الجبل علّها تعيد مرة أخرى إلى أيدي القيادة السياسية بعض الأوراق التي فقدت منها الكثير على مر العام الأخير.

إلى ماذا كانت تسعى الأطراف المتعددة وإلى أين انتهت المواقع في صراع القرون الأخيرة، المشتعل الآن على أرض لبنان؟

بداية.. أمين الجميل أستلم سلطته تحت حراب الاحتلال الصهيوني وضمن اتفاقات بين الكتائب وحكومة بيجن على توقيع اتفاق لبناني–صهيوني للسلام، فيما بعد وفي ظروف معقدة وقع الاتفاق برعاية أمريكية كاملة ووعود أميريكية لحكومة الجميل بضمان الموافقة السورية والمباركة السعودية، الطرفان الرئيسيان اللذان يلعبان الدور الكبير في سياسة المنطقة الآن، على أساس أن مصر ليس لديها ما تعترض عليه (!) والاردن ينتظر دوره، والعراق مرتبط بجدول التدهور العام تحت ضربات القوات الإسلامية.

وللمرة المئة بعد الألف أثبت الأمريكيون كذبهم، فوعود ضمان التأييد والمباركة لم تتحقق وذلك للأسباب التالية:

١– الاتفاق اللبناني–الصهيوني يشكل خطرا جديدا على الوضع السوري التفاوضي في



البوارج الأميركية تقصف لبنان

الشرق الأوسط، ذلك أن أوراق سورية الرئيسية تقع كلها خارج اطار القوة الذاتية السورية، أولها النفوذ السوري في لبنان، وثانيها النفوذ السوري في الساحة الفلسطينية. والاتفاق ببنوده المعلنة ونتائجه يدمر تماما النفوذ السوري في لبنان، فيما عملية احتواء القرار الفلسطيني لم تتم بعد. لذا فقد كان على حكومة الأسد أن تصل في لبنان إلى أقصى حد تستطيعه لتقويض الاتفاق ولتقويض الحكومة اللبنانية التي وقعته ان أمكن أو لتعيد نفوذها المهدد في لبنان إلى الفعالية مرة أخرى. ولذا فقد عارضت سورية الاتفاق وطالبت بالغائه وساهمت في تأسيس جبهة الانقاذ الوطني من حلفائها في الجبل والشمال، ثم سارت في معركة الجبل محاولة عبرها تحقيق أهدافها السابقة.

٢– الحكومة السعودية مازالت تعتبر حرب الخليج القضية الرئيسية لها، فيما يسمى بمشكلة الشرق الأوسط تقع في الصف الثاني من أولويات أهتماماتها السياسية. وابقاء الباب مفتوحا بشكل كامل مع دمشق مسألة رئيسية لمستقبل الصراع، فسوريا قد تلعب دور الوسيط أو دور الاحتياط للعراق أو دور المواجهة مع القوات الإسلامية المتقدمة ان احتاج الأمر. لذا فقد كان صعبا على السعوديين أن يباركوا الاتفاق علانية في وجه السوريين. إلا أن السعودية المرتبطة بالنفوذ الأمريكي في المنطقة وضعت ثقلها السياسي في حالة إستنفار للتدخل عند اللزوم وابقاء حالة التوازن في المنطقة لتعيد الأمور إلى ما كانت عليه ريثما يتضح شيئ في حرب الخليج يعيد ترتيب الأولويات. خاصة أن مبادرة ريجان المطروحة كأرضية

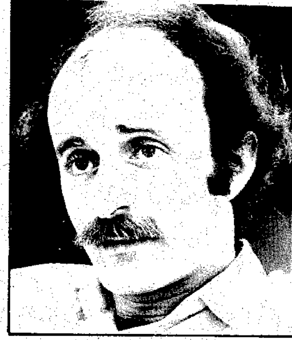
وحيدة للتسوية قد تهاوت أمام فشل المحادثات الأردنية–الفلسطينية التي هي محور المبادرة.

هكذا وجدت الحكومة اللبنانية أن الأمور قد أصبحت أكثر تعقيدا بعد انسحاب القوات الصهيونية من الجبل –معقل الطائفة الدرزية– فيما القوات الكتائبية والدرزية وجها لوجه في معظم قرى ومدن الجبل، والمسرح جاهز تماما للاشتعال.

الصراع على الجبل جزء لا يتجزأ من تاريخ لبنان الحديث بل أن أحداث الستينات من القرن الماضي كانت هي السبب الرئيسي فيما حدث من بعد من تدخل للقوى الدولية التي أجبرت الدولة العثمانية على أعطاء لبنان طابعه الخاص في المنطقة. وعلى مر السنوات القليلة القادمة وبالتحديد بعد الاحتلال الفرنسي ومن ثم نشوء لبنان الكبير –دولة لبنان الحالية– كان الدروز يشعرون أن الوجود الماروني في الجبل هو وجود طارئ والهيمنة المارونية هيمنة مصطنعة بدعم القوى الخارجية. مازاد الأمور حدة أن العناصر الكتائبية بعد الاحتلال الصهيوني قد وجدت طريقها إلى قرى الجبل خاصة حيث يتواجد المارون وذلك في الخطوة الأخيرة للسيطرة على كل لبنان، فالجنوب بيد سعد حداد واليهود، وبيروت ومعظم الساحل بيد الحكومة ذات الصبغة الكتائبية والبقاع مكان المساومات القادمة، فلتكن خطوة الجبل هي الفاصلة في حسم الصراع لصالح الكتائب.

هنا، دفعت سوريا وليد جنبلاط وقواته في مواجهة الكتائب، سوريا تسعى وراء أهدافها السابقة وجنبلاط يسعى إلى تأمين مستقبل الطائفة الدرزية في لبنان. بعد أيام قليلة أثبت الدروز أنهم قادرون على طرد الكتائبيين من الجبل، وكالعادة، بدأ الصراخ الصليبي حول مذبحة تجري في الجبل وبدأت الاتصالات مع الفاتيكان لحماية مسيحي لبنان وضج العالم بالصراخ حول ما سمي «باليسار الإسلامي» في لبنان الساعي إلى إنهاء الوجود المسيحي، والحقيقة أن الصراع لم يكن يساريا ولا إسلاميا انما هو حلقة أخرى من الصراع المعقد في لبنان الحديث.

وما أن وصلت قوات جنبلاط إلى مشارف بلدة «سوق الغرب» المشرفة على جنوب بيروت وبالذات منطقة المطار الدولي ومقر قيادة القوات الاميريكية ومنزل السفير الأمريكي حتى أدرك الأميريكيون أن الخطر قد أصبح محققا، وفي لحظات تحولت قوات حفظ السلام الدولية إلى قوات محاربة بجانب دولة أمين الجميل وعلى مر أسبوعين تقريبا أوقف الأميريكيون باستخدام سفنهم وطائراتهم ومدفعيتهم تقدم قوات جنبلاط وأفهموا السوريين وحلفائهم أن هناك حدودا يجب التوقف عندها، ولكن الأهم من ذلك أن حكومة «الكاوبوي» في واشنطن قد أدركت شيئا آخر أيضا، وهو أهمية اعطاء سوريا دورا أكبر في الشئون اللبنانية، وهنا بدأ الدور السعودي، فوقف إطلاق النار والاتفاق على بدء حوار وطني في لبنان في جوهره ليس حاسما باتجاه حل المشكلة اللبنانية، ذلك أن لبنان قد أصبح –شاءت الأطرام أم أبت– جزءا من مشكلة المنطقة كلها ولن تحل مشكلته بالانفصال


جنبلاط : تحالف المصالح


الجميل : الهيمنة المارونية

عنها، لكن الحل السعودي المؤقت جاء تماما وفي لحظة التوازن ليعيد مواقع القوى إلى ما كانت عليه. وجود سوري فعال، حكومة كتائبية في بيروت، نصف نصر درزي ونصف هزيمة كتائبية. واستمرار الحفاظ على الوجود الغربي وبالذات الأميريكي.

في غمرة الأحداث المدوية تلك أحاطت القوات السورية في البقاع بحوالي ١٥٠٠ مقاتل من فتح، وهي الجزء الرئيسي من قوات عرفات الباقية في الوادي، وجردتها من سلاحها الثقيل وأجبرتها على ترك مواقعها والتوجه إلى الشمال –طرابلس– حيث وصل عرفات نفسه إلى هناك لأول مرة منذ طرده من سوريا قبل عدة شهور. وسوريا بذلك تخطو الخطوة الثانية نحو حصر قوات فتح الموالية –الأكثرية– في منطقة ضيقة في شمال لبنان حيث الابتعاد عن ساحة التأثير العسكري والسياسي وربما التمهيد للتصفية النهائية.

من كسب ومن خسر في الجولة الأخيرة؟ وما هي احتمالات الموقف الآن؟

الواضح أن السوريين كسبوا باتجاهين: فهم أولا أعادوا ثقلهم في لبنان إلى ما كان عليه الوضع –تقريبا– قبل الاتفاق الصهيوني اللبناني الأخير، الدروز أيضا أثبتوا في معركة الجبل –التي هي الأولى لهم منذ بداية حرب لبنان– أنهم طائفة ينبغي النظر إلى مصالحها بعين الاعتبار. سوريا أيضا تقدمت خطوة أخرى باتجاه احتواء القرار الفلسطيني وكان الخاسر للاشك هو عرفات، أما الآخرين على قائمة الخسارة فهم الكتائبيون الذين عادت مواقعهم إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال الصهيوني. والمأساة هنا ان يوضع عرفات والجميل على قائمة واحدة في جدول الخسارة، وهي بلاشك حلقة أخرى في سلسلة مأساة الخروج من بيروت التي يعيشها عرفات منذ ١٤ شهرا.

الأميريكيون في جوهر الأمر لم يخسروا شيئا، فهم من ناحية مازلوا في لبنان بكل قواتهم بل أن الأحداث الأخيرة أعطتهم بشكل من الأشكال شرعية التدخل المسلح عند الحاجة

بعد أن قابلت مدافعهم حالة السبات والنوم العربية الشاملة، وهم من ناحية أخرى يستمتعون بمشهد النهاية البطيئ لمنظمة التحرير آخر قوة تحمل طابع جماهيري في المنطقة، ثم أن الانتخابات الأميركية على الأبواب فلتستمر المحافظة على حالة توازن الدمار اللبنانية حتى يكسب سيد البيت الأبيض جولة الانتخابات القادمة ثم يبدأ بعدها في النظر إلى الشرق الأوسط بعين الرحمة والجد. أما السعوديون فقد عادوا مرة أخرى إلى مواقعهم السابقة بعد أن اطمأنوا إلى أن الاشياء باقية على ما هي عليه، لينظروا ماذا باستطاعتهم الفعل في مواجهة الخطر الإسلامي القادم من الشرق!

الوضع الآن يتحرك نحو إحتمالين أو هو نائم على احتمالين: الأول أن يعقد مؤتمر التصالح الوطني، الذي يبدو حتى لحظة الكتابة في مواجهة عشرات العقبات، وأن يبحث أعادة تشكيل لبنان على أسس جديدة، مما سيأخذ وقتا طويلا يسمح بإعادة توزيع القوى على موازين جديدة ويعني مرة أخرى وضع المشكلة اللبنانية على سكة مشكلة الشرق الأوسط كلها، ولكننا نُذكِّر هنا أن أي تغيير في الميثاق الوطني اللبناني من أجل توزيع جديد يعطي الطوائف اللبنانية حقوقا أكبر للمشاركة في الحكم لن يعني على الاطلاق أن المارون سيتنازلون ولكن الذي سيحدث سيكون مجرد تنازل ماروني شكلي يصاحبه خلط أوراق بقية الطوائف مما سيجعل المسلمون هم الخاسر الأكبر في التشكيلة الجديدة وهذا ما لم يدركه معظمهم حتى الآن.

الإحتمال الثاني: أن لا يحدث شيئ مما سبق وأن تستمر حالة الفوضى والصراع داخل لبنان مما سيؤدي إلى حالة من التقسيم الرسمي التي ستتبع حالة التقسيم الفعلي الواقعة الآن. أو أن تنتظر الأمور –وهي قلما تنتظر– إلى أن تتغير معادلة المنطقة بأجمعها وتبرز قوة فاعلة ترث كل هذا الغثاء المتهاوي. على أن أصعب الأوضاع سيكون ذلك الخاص بآلاف المقاتلين من فتح الذين يحشرون الآن في زاوية صغيرة في الشمال اللبناني وقد تحولوا من التأثير في مركز دائرة الفعل إلى منتظرين على هامش الدائرة.

أحمد صادق

الثابت والمتغير في نظام الدولة الإسلامية

الدكتور أحمد عروة
استاذ في الطب الاجتماعي بمعهد العلوم الطبية بالجزائر

كثيرا ما اختلف المسلمون في ماضيهم وحاضرهم في تصورهم وفي تطبيقهم لنظام الحكم:

— أما في التصور فذلك راجع إلى أن النصوص الأساسية في القرآن والسنة مع أنها وضَّحت وظائف ومقاييس الحكم لم تحدد نوعيةً ولا شكلاً لنظام الدولة في الإسلام وستتضح لنا الحكمة في ذلك.

— وأما في التطبيق فذلك راجع لعوامل زمنية وبشرية فرضت نفسها على الأمة الإسلامية طيلة تاريخها سواء في عصور القوة والازدهار الحضاري أو في عصور الضعف والانحطاط أو في عصر النهضة المعاصرة كما سنفصلهُ من بعد

الاسئلة الأساسية المطروحة علينا اليوم في تطلعاتنا لتحقيق مطامح الأمة الإسلامية كيانا ونظاما ورسالة تتفرع على ثلاثة محاور:

١– ما هي الأسس العقيدية الثابته التي يتركز عنها نظام الحكم الإسلامي والتي تتمثل في المقاصد والأهداف وفي المعايير والشروط الخلقية والمنهجية.

٢– ما هي العوامل الزمنية التي تؤثر في كيفيات ونوعيات نظام الحكم.

٣– ما هي مجالات البحث والاجتهاد في تصور الافاق المستقبلية لنظام الدولة الإسلامية في الظروف التاريخية الجديدة التي تسيطر عليها ظاهرة التشعب البشري والتغير الظرفي والتطور الحضاري.

١– الأسس العقيدية الثابتة التي يخضع لها نظام الحكم:

تتمثل في تعاليم الإسلام الواضحة والصارمة التي تحدد مقاصد الحكم ومقاييسه ومناهجهُ.

— أما المقاصد فهي متعلقة بوظيفة الخلافة، والخلافة نوعان:

خلافة الانسان في الأرض «واذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة» (البقرة ٣٠) وهي خلافة عامة تعتبر فيها

المسؤولية على مستوى الأفراد تتمثل في طاعة الله وتشمُل العبادات والمعاملات والاصلاح في الأرض، ثم **الخلافة الخاصة** بأولى الأمر المسؤولين على تطبيق أوامر الله على مستوى الأمة كما نجد ذلك في الايتين

— «إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله»

(النساء ١٠٥)

— «ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق» (ص٢٦)

— **واما المقاييس الخلقية** التي تشترط في أولى الأمر فهي:

— أخلاق متعلقة بالعقيدة وهي شريطة الإسلام إيمانا واحتسابا.

— أخلاق استعدادية لتأدية وظيفة الحكم يذكر منها ابن خلدون «العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل».

— أخلاق سلوكية وهي الالتزام بمكارم الاخلاق النفسية والاجتماعية والروحية والتي تتحقق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالعدل وغير ذلك من مسؤوليات الحكم.

— **وأما المقاييس المنهجية فتتمثل في مجموعة من المبادئ الأساسية نذكر منها:**

— **أولاً: مبدأ الحكم بما أنزل الله:**

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئكهم الكافرون» وهذا يفرض أن المرجع الأساسي لدستور الدولة هو القرآن والسنة النبوية.

كما أن هذا يرفض طريقة الارتجال والاستبداد والانحراف والتحزب في الرأي.

— **ثانيا: مبدأ الشوري**، «وأمرهم شورى بينهم» (الشورى ٣٨)

وللشورى مستويان.

— **مستوى اختصاصي** تكتسي فيه الشورى طابع الاستفتاء الفني والتشريعي ويتوجه لذوي الكفاءة والخبرة الدينية والعلمية— **ومستوى عام** دنوي يتوجه لرأي العامة من المسلمين.

— **ثالثا: مبدأ العقد بين الدولة والرعية** الذي يتمثل في البيعة التي تجعل من رئاسة الدولة وظيفة اجتماعية مسؤولة ومحاسبة.

— **رابعا: مبدأ الطاعة لأولى الأمر**، ما داموا في طاعة الله «واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»

٢— ما هي العوامل التاريخية التي أثرت في كيفيات نظام الحكم.

١— العامل التأسيسي، الذي قد يكون محل اختلاف ونزاعات لأن الأصول التشريعية لم تحددهُ والحكمة في ذلك انه يخضع في تنوعه وتشكيله للعوامل الزمنية المتغيرة التي سنطرقها فيما بعد.

ويقع الاختلاف على مستوين:

— مستوى الاختيار للشخصية أو الشخصيات الحاكمة وقد ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية القديمة وجهات نظر تشترط من الخليفة انتسابه إلى أهل البيت أو إلى العنصر القرشي أو تشترط منه الا أن يكون مسلما جديرا بالمسؤولية.

— وأما على مستوى نظام الحكم فقد تتراوح كذلك النظريات بين انتخاب الأمراء من طرف نخبة سامية ضيقة أو جماهيرية واسعة

وبين الملك الوراثي الذي ساد كثيرا من فترات التاريخ.

لكلٍ من هاته الأشكال التأسيسية دافع ومبررات اعتقادية أو اجتهادية أو مصلحية منها السليم ومنها المنحرف كما يصناف إلى ذلك تأثيرات العامل الزمني.

وهكذا تعاقبت في المجتمعات الإسلامية منذ بدايتها أشكال ونوعيات لنظام الحكم نذكر منها، (بغض النظر عن مدى التصاقها أو ابتعادها عن مقاصد الشرع وأصوله).

١— دولة الرسول محمد ﷺ التي كانت مرتبطة بالوحي المتواصل وبوضع الدعائم الأولى النظامية والخلقية والروحية للمجتمع الإسلامي.

٢— دولة الخلفاء الراشدين الذين ساروا على منهج الرسول مع اجتهادات ملموسة في عمليات الاستشارة والإدارة والتسيير تفاعلا مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية وتطور أحوالها وأوضاعها.

٣— الخلافة الوراثية التي فرضها الامويون ثم العباسيون من بعدهم والتي لم تحتفظ إلا برمز من البيعة والاستشارة تتغلب عليها اعتبارات العصبية والتنازع على السلطان.

٤— الأنظمة الملوكية الجهوية أو الطائفية في ظاهرها العشائري والاقطاعي.

٥— الامبراطوريات الكبرى التي استولت على الحكم وغمرت مساحات شاسعة من البلدان سواء تحت شعار الخلافة، كالعثمانية أو تحت شعارات أخرى للملك والسلطنة في آسيا وأفريقيا.

٦— الإمارات المنبثقة من حركات اصلاحية وتجديدية كما ظهر ذلك في المغرب الإسلامي مع المرابطين والفاطميين والموحدين أو في الشرق الإسلامي كما ظهر أخيراً مع الوهابين.

٧— الإمارات المنتخبة من جماهير المسلمين في حالة فراغ الملك كما حصل في بيعة الأمير عبد القادر الجزائري.

٨— انفصال نسبي أو قطعي بين الدين والدولة كما حصل في العهود الاستعمارية حيث استولت السلطات الاستعمارية على أزمة الحكم السياسي والعسكري والاقتصادي وتركت الدين لمؤسسات محلية مراقبة أو شبه مستقلة.

٩— ثم ظهرت في العصور المتخلفة أشكال أخرى لنظام الحكم من سلطنات متأثرة بنظام الملكية في البلدان الأوروبية —وجمهوريات مستلهمة من النموذج الغربي سواء في طابعة الديمقراطي اللبرالي أو في طابعة الديمقراطي الاشتراكي —وجمهوريات إسلامية تستوحى دستورها من الشريعة الإسلامية وتبرز من بينها الجمهورية الإسلامية الايرانية.

٢ — العوامل الزمنية:

كل هذه التنوعات في شكلية ومنهجية

الحكم تعكس اختلاف العوامل التاريخية وبغض النظر عن مشروعيتها وعن عواقبها الايجابية والسلبية تذكر من تلك العوامل :

١– عامل الانتساب إلى العقيدة والشرعية الإسلامية التي تجعل كل نظام سواء كان صادقا في زعمه أو غير صادق يحاول الالتصاق أو بالاحرى يلتمس الاعتراف بشرعيته حتى في حالة ما إذا داس فيها المقدسات واستحل فيها المحرمات .

٢– العامل الاقتصادي الذي يتحكم في توزيع الثروات وتنظيم المعاملات سواء على مستوى العلاقات الاجتماعية في الداخل أو على مستوى العلاقات التجارية في الخارج .

٣– العامل العسكري الذي كثيرا ما خول السلطة الحقيقية لحامل السلاح على حساب حامل الكتاب .

٤– عامل العصبية العشائرية والقومية الذي أثر على نوعية الحكم بتغلب نزعته الشعوبية .

٥– العامل الحضاري الذي يتمثل في تطور المفاهيم الأساسية للوجود ونوعية الحياة المعاشية والجمالية والاقتصادية والثقافية والذي يحول اهتمامات الملك مع تحول اهتمامات الجماهير .

٦– العامل الخارجي الذي يتمثل في الاعتداءات والتحديات المتواصلة على الأمة الإسلامية منذ نشئتها الأولى .

٣– مجالات الاجتهاد في تطور الملامح المستقبلية لنظام الحكم :

نستخلص من هذا العرض السريع للعوامل التي تؤثر في نظام الحكم :

١– أن مقاصد ووظيفة الدولة في الإسلام تخضع لمقاييس خلقية ومنهجية محددة وصريحة .

٢– أن النظام التأسيسي للدولة هو من المتغيرات التي تدعو إلى اجتهاد تشريعي وتدبير موضوعي يعتمد في نفس الوقت على الاصالة العقيدية وعلى مبدأ المصلحة العامة تفاعلاً مع المعطيات الزمنية المتطورة .

٣– أن نظام الحكم مهما كان وفي أي زمان كان يتعرض لعوامل تاريخية وبشرية منها ما هو مدعم لصلاحيته ومنها ما هو مفسد لها ويستوجب التحكم فيه لكيلا يطغي على أهدافه وأساليبه .

ومن هنا تلوح لنا منهجية البحث في وضع الأسس النظرية والعملية لنظام الحكم أو الدولة في الظروف التاريخية التي تعيشها الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر .

تلك الظروف لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في كل تصور نظري أو تخطيط عملي .

أ– من تلك الظروف ما هو داع ومدعم لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية رسالة وكيانا ونظاما :

* حيوية الدين الإسلامي واستمرارية رسالته الانسانية

* تمسك الشعوب الإسلامية بالدين وتطلعاتهم إلى مستقبل قوة وعلم وعدالة وازدهار منبثق من أصالة الإسلام عقيدة وسلوكا ونظاما ومجتمعا وحضارة

* امتداد رقعة الإسلام وتوفر طاقاته



البشرية والاقتصادية والمعنوية

* الفراغ الخلقي والروحي التي آلت اليه الحضارة الغربية التي جعلت الانسان يتيه في دهاليز الحياة المادية الاستهلاكية المسدودة وجعلته يبحث من جديد عن طريق السعادة ومشارق النور .

ب– ومن تلك الظروف ما هو معاكس في حقيقته أو في ظاهره ويستوجب اليقظة والحزم والعمل لتذليله وتحويله إلى دافع قوة وتقدم وذلك مثل :

* شساعة العالم الإسلامي واختلاف معطياته الوضعية والبشرية واللغوية والحضارية .

* تخلف واختلاف الفكر الإسلامي في تفهمه سواء لحقائق الإسلام أو للتغيرات التي طرأت على الانسانية وفي تصوره للحلول وللمفاهيم

* تفوق الحضارة الغربية سواء في طابعها الايجابي فيما يتعلق بتقدم العلوم والتقنيات أو في طابعها السلبي فيما يتعلق بالمفاهيم المادية

للوجود والسلوكات الاباحية في الاخلاق أو في طابعها العدواني المتمثل في تكالب القوى العـالمية على فرض مصالحها الاستراتيجية الاقتصادية والعقائدية على بقية الأمم

* تشتت وتناقض النظم السياسية التي نشأت بمقتضى التقلبات التاريخية والتأثيرات الخارجية وكثيرا ما تتنازع فيما بينها وتبتعد عن المبادئ الأسلامية وعن طموحات الجماهير الأصيلة.

* وجود الاقليات غير الإسلامية ذات النفوذ الاقتصادي والسياسي داخل البلاد الإسلاميـة ووجود الاقليـات الإسلاميـة المهضومة الحقوق في الدول غير الإسلامية.

من هذا المنطلق التحليلي للمبادئ العقيدية الثابتة والعوامل الزمنية التي أثرت قديما وتؤثر حديثا على مفهوم ونوعية الحكم في الإسلام ومع العلم بأنه لم يكن من قصدنا ولا من كفاءتنا ان نتعمق في تفاصيل المعطيات الفقهية والتاريخية ولا في تفاصيل التحليل والتعليل نستخلص بعض المقاييس العملية التي يتركز عليها أي بحث أو مبادرة تهدف إلى وضع الأسس الدستوريـة لتسيير الدولة والأمة الإسلامية :

أولا : إثبات ما ثبت من تعاليم الشريعة الإسلامية التي تحدد الأهداف والمقاصد العامة للحكم في الإسلام مع مراعاة مبدأ التفاهم والتوافق فيما قد يختلف فيه المجتهدون مهما كانت كفاءتهم العلمية وإخلاصهم للدين.

ثانيا : الالتزام بما يلزم من الشروط والمقاييس الخلقية والمنهجية التي يخضع لها نظام الحكم في تأدية وظيفته الدينية والاجتماعية.

ثالثا : اعتبار التغيرات الظرفية والزمنية التي تؤثر في تشكلة النظم للتلاؤم معها طبقا لمبادئ الاستحسان والاستصلاح.

رابعا : التصدي بطرق منهجية مدروسة ومخططـة لـلنـقائص والحواجز والمعاكسات والتحديات لتذيلها والتغلب عليها.

خامسا : وأخيراً الاعتصام بحبل الله الذي يوحد الكلمة ويجمع الشمل ويثبت الاقدام ويضمن النصر وما النصر الا من عند الله. «واعتصـموا بحبـل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»

«بحث قدم لـلـنـدوة الـدولـية عن الدولة والسـياسة في الإسلام. لـندن ٢٣–٢٦، شوال ١٤٠٣هـ ٣–٦ أغسس ١٩٨٣م»

ليبيا: النظام.. المعارضة: الاسلام



القذافي

في سبتـمبر ١٩٦٩ فوجئ العالم بانقلاب عسكري يطيح بالحكومة الضعيفة للملك السـنوسي في ليبيا وعلى مر الأيام التالية اتضحت الكثير من الأمور الغامضة حول الانقلاب وعناصره واتجاهاته.

في ذلك الوقت كانت المنطقة العربية تعاني من آثار الهزيمة الساحقة ليونيو ٦٧ والأنظمة العربية من الطراز القومي الاشتراكي تحاول محاولة مستـميتة لتبقى على المواقع القابضة عليها. الضابط الذي برز بين أفراد مجموعته كقائد ومحور للعملية الانقلابية كان معـمر القـذافي. ضابط صغير في بداية الثلاثينات من عمره، عصبي المزاج، تسكنه النزعة التلفزيونية لضباط العالم الثالث وذو تـوجهات ناصرية أيضا. بعد شهور قليلة أتضح أن القذافي الذي جاء كما يبدو لينقذ عبدالناصر من دائرة القنوط التي كانت تحكم حلقتها حوله، لم يكن في جوهر الأمر يعي تماما اطروحة عبدالناصر في الحكم، وناصريته جاءت فقط من ذلك الهوس الذي أصاب الكثير من الجماهير العربية –ومن ضباطها كذلك– بالزعيم العربي الوحدوي المتصدي للإستعمار (!).

خلط القذافي في تصريحاته وتوجهاته بين الإسلام وبين حس وحدوي عروبي، وتشدد في مواقفه ضد الأنظمة التي كان عبدالناصر يصفها بالرجعية ثم بعد يونيو ٦٧ تصالح معها. في السنوات التالية احتفظ القذافي بعلاقات سيئة مع موسكو وكان يود أن يظهر أن المسألة هي مسألة الشيوعية وهو رجل مؤمن، فيما وثق علاقاته مع دول أوروبا وظهر فيما بـعـد أن الشركـات الأميركية كانت

ومازالت تحتفظ بمواقع قوية ومصالح ضخمة في خارطة المشاريع والبنية الاقتصادية المدنية لليبيا القذافي.

بعد موت عبدالناصر تصاعد الهوس القومي لدى العقيد وأصبح يعتقد أن وراثة عبدالناصر قد حسمت لصالحه، بل أنه بدأ فعلا مشوار الزعامة الطويل للمنطقة ودخل أول تجربة له في «اتحاد الجمهوريات العربية» الذي أعلن بين مصر وسوريا وليبيا والذي اتخذه السادات ذريعة للاطاحة بخصومه من رجال عبدالناصر في مايو ١٩٧١. وقد تواصلت محاولات وتجارب القذافي الوحدوية، من مصر إلى سوريا إلى السودان إلى الجزائر إلى تونس.. حتى مالطة لم يتركها بلا محاولة. كما أن بقايا ملامحه الأولى أخذت فيما بعد الكثير من الأبعاد، فقد ساهم القذافي مساهمة كبيرة في المزايدة على الإسلام في مطلع السبعينات عندما كان صديقه اللدود السادات نجم المزايدة، بل أن الكثير من التجمعات والاتجاهات الإسلامية خدعت بمزايدات العقيد وظنت أن بالامكان أن يتحقق من نظامه بعض الخير للإسلام، بل أن الحوار العنيف تصاعد في كثير من الأوقات داخل الحركة الإسلامية حول القذافي وإسلامه. ولكن داخل ليبيا كان القذافي وأجهزته يخوضون معركة دموية ضد الشباب المسلم سواء في داخل الاتجاهات الإسلامية المعروفة كحزب التحرير والأخوان المسلمين أم خارجها، وعندما أعلن القذافي نظريته الشهيرة –النظرية الثالثة– التي مازالت تعتبر في مقاييسه طريق السعادة والنجاة للعالم، أصبح واضحا ومحددا أن الإسلام لدى القذافي شيئ آخر غير الذي يعرفه المسلمون. ثم ازدادت الأمور وضوحا عندما أعلن القذافي أنه لا يعترف بالحديث النبوي الشريف كمصدر للتشريع وبدأ يصدر الفتاوي حول مسائل الإسلام الهامة في الوقت الذي تواصلت فيه أفواج الشباب المسلم في التعليق على المشانق أو في التعرض للاغتيال أو الموت تحت التعذيب.

وقد تعرضت البلاد في ظل الحكم بلا رقابة إلى عملية نهب هائلة ابتداء من البلايين التي دفعت ثمنا للسلاح المشترى من السوفييت والذي يكفي ثلاث دول مثل ليبيا ولا يجد حتى الآن من يحمله إلى استهلاك ثروات البلاد في مغامرات الوحدة والتحالفات ومحاولة صنع الموالين والاتباع. إلا أن النهب الذي لا يتوقف لحظة في ليبيا اليوم هو نهب الطبقة الجديدة التي صنعها القذافي والتي تمسك بمفاتيح العمل والاقتصاد والتجارة وتوقع مئات العقود التي تدر عليها ملايين الجنيهات من بند العمولة السحري الذي برعت فيه الشركات الغربية.

عندما قام الانقلاب كان أهم توجه للضباط القادمين، تحطيم شبكات الفساد والرشوة وتقليم أظافر العناصر المستغلة والمتحكمة في أقوات الناس ولكن الذي حدث فعلا بعد أربعة عشر عاما من الحكم، أن الانقلاب قد نجح في تهجير وكبت وسجن الآلاف من الفعاليات الليبية الاقتصادية والتجارية منهم من كان متورطا ضد الأمة ومنهم من لم يكن كذلك، وفي نفس الوقت نشأت طبقة



الشهيد محمد مصطفى رمضان

جديدة من الضباط والمحاسيب ورجال الأمن وأقارب الرئيس وزملائه الذين أثروا ثراءا فاحشا وشكلوا ملامح طبقة جديدة تعرفها معظم بلاد الوطن الإسلامي. طبقة تحكم وتملك ولا تنتج مهمتها الرئيسية السمسرة للإنتاج الغربي وجلب المزيد من قيمة وأدواته إلى حياة الأمة والتحكم في رقاب الناس والسعي إلى مواقع الطبقة الحاكمة السابقة بكل فسادها وخرابها.

أربعة عشر عاما من الحكم في ليبيا جعلت القذافي نموذجا للحكام في الوطن الإسلامي، وجعلت من ليبيا، الدولة النفطية ذات التعداد السكاني البسيط، بلدا مدنيا يعاني من الخراب على كل المستويات:

فالقذافي كنموذج لحكام العالم الثالث لا يتورع عن ارتكاب أي عمل من الأعمال التي يظن أنها ستحفظ نظامه وهو كنموذج يعتقد أن نظامه هو الأفضل وأن الجماهير لا تريد غيره زعيما، لذا، فعمليات الاغتيال لقادة المعارضة لم تتوقف طوال السنوات الماضية في كل عواصم أوروبا، والشباب المسلم يتذكر معظمه حادثة اغتيال محمد مصطفى رمضان المذيع المسلم أمام مسجد لندن، والتي كانت واحدة فقط من العمليات الوحشية لتصفية معارضي القذافي. وفي حمى هواجسه الزعامية، هاجم الجميع وندد بالكل، ثم تصالح معهم جميعا، وقف ضد السعودية سنوات ثم ساومها على رقبة عرفات، وقف

ضد المغرب في الصحراء ثم تراجع عندما تورط في تشاد، حاول قلب النظام التونسي بالسلاح ثم عانق المجاهد الأكبر، أدعى أنه محرر فلسطين ثم ساهم بكل ما يملك في تحطيم المقاومة، استمر لسنوات يدعى مواجهة السوفييت ثم أصبح جزءا من تحالفاتهم، حمل هموم العروبة والوحدة ثم أصبح الممول لحملات منجستو مريام ضد عرب إريتريا المسلمين، وقبل كل ذلك وبعده جعل من نفسه بطل مواجهة أمريكا في المنطقة، فيما عملاء المخابرات المركزية يدربون رجاله والشركات الأميركية متربعة في بلاده والنفط الليبي يصب في المصانع الأميريكية.

أما ما حدث في داخل ليبيا فقد كان شيئا لا يمكن تصوره: في ظل نظريات القذافي الاقتصادية جردت الناس من أموالها وشركاتها ومنازلها ومصالحها وأصبحت الدولة هي صاحبة كل شيئ والدولة في ليبيا شيئ آخر تماما، فالنظرية الثالثة جردت ليبيا من كل كفاءاتها العلمية والفنية وأعطت مجموعة من الرعاع من أنصار النظام الحق في الاستيلاء على كل المراكز الهامة داخل الدولة باسم المؤتمرات واللجان الشعبية فيما تولت حفنة من الضباط أهم مراكز القرار والتوجيه إضافة إلى العمل السري في الاتصال بالقوى الخارجية وتجنيد العملاء وتخطيط عمليات التآمر والإغتيال والتصرف بملايين الجنيهات فيما لا يهم مصالح ليبيا الحقيقية ولا يرضى وجه الله، ابتداءا من عقد المؤتمرات الضخمة حول كتاب القذافي الأخضر إلى إنشاء الصحف والمجلات الفخمة في عواصم أوروبا للدعاية للعقيد وحكومته والتي لا يلتفت لها أحد.

لم يكن ذلك هو التغيير الوحيد في واقع ليبيا الاجتماعي والسياسي، اذ أن الأهم مما سبق أن حكومة العسكر التي بدا في الأيام الأولى أنها تتجه نحو الإسلام حملت حتى الآن العديد من التغيرات الى حياة الليبيين المسلمين، فمن المعروف أن استقلال ليبيا وخروج الايطاليين قد جاء محمولا على حركة المقاومة الإسلامية التي قادتها الحركة السنوسية وقد بقي الشعب الليبي —ولازال— محتفظا بقيمة وتراثه الإسلاميين، ولكن مبادئ التقدم التي جاءت بها «النظرية الثالثة» نقلت فتيات الشعب الليبي إلى قوات القذافي بكل ما تعنيه طقوس الجيوش الغربية المختلطة من معنى، وعملية «التحضير» التي حولت الآلاف من أبناء البادية إلى حضر أعطتهم المنازل والمياه ومازالت تحاول أن تأخذ من ابنائهم القيم والانتماء الإسلامي كما أن العنف الذي يواجه الشباب المسلم والعلماء المسلمين جعل المسجد ذو التاريخ النضالي الفذ في ليبيا الحديثة يتراجع عن دوره العظيم لتتقدم عليه لجان الهوس والجهل والمسماه باللجان الشعبية.

كل شيئ يتغير في ليبيا، كل شيئ، ولكن شيئا هاما لم يتغير. إنه مقاومة الشعب الليبي المسلم للكابوس الثقيل الذي مثلته حكومة انقلاب سبتمبر. منذ البداية برزت العناصر الشابة في الجامعات الليبية وبوضوح وشجاعة في مواجهة اطروحات العقيد حول الإسلام ولعل من الانصاف أن نذكر الصلابة والثوة المتميزة التي اتصف بها شباب حزب التحرير الإسلامي الذين قدموا حتى الآن العديد من

الشهداء، منهم من اغتيل ومنهم من سقط تحت التعذيب شهيد المقاومة الإسلامية المتميزة في ليبيا، على أن جميع الاتجاهات على مر السنوات الأخيرة قدمت شجاعة العديد من الشهداء سواء داخل ليبيا أو خارجها بأيدي عصابات الاعتيال التي أرسلها النظام.

المعارضة الليبية لم تتوقف إلا أن معظم الليبيين يحددون عام ١٩٧٧ كنقطة فصل في عملية مواجهة النظام. فحتى ذلك التاريخ كان العديد من ابناء الشعب الليبي مازالوا يأملون في عملية اصلاح النظام أو على الأقل ايقاف عملية التدهور إلا أن الشراسة التي وجه بها منتقدي النظام جعلت الجميع يتحققون من عبثية ما كانوا يحاولونه في الاصلاح من الداخل.... لكن العديد من الشباب المسلم يقولون ان الإسلاميين منذ وقت مبكر أدركوا طبيعة النظام ووقفوا في مواجهته وكانوا أول من استشهد.

خارطة المعارضة الليبية متفرعة، معقدة وموزعة على العديد من الاتجاهات إلا اننا فيما يلي سنحاول وباختصار شديد تحديد ملامح تلك الخارطة:

١) التجمع الوطني الديمقراطي الليبي: نشأ التجمع قبل عام من الآن تقريبا نتيجة لاتحاد التجمع الوطني الليبي والحركة الديمقراطية الليبية، يمثل التجمع مجموعة الليبيراليين الأميل لليسار ويصدر مجلة «صوت ليبيا» كن أبرز عناصره: محمود المغربي الذي كان أول رئيس للوزراء في حكومة الانقلاب ثم انشق فيما بعد ويعتبر المغربي شخصا غامضا في الأوساط الليبية. أيضا فاضل المسعودي الذي كان رئيسا لتحرير جريدة يومية في ليبيا قبل أن يعمل في الخط المعارض.

٢) الحركة الوطنية الليبية: مجموعة تمثل خط البعث العراقي، كانت تصدر عنهم مجلة «صوت الطليعة» التي توقفت عن الصدور كما يبدو كنتيجة للأزمة المادية العراقية. أبرز شخصياتهم عمران بورويس الذي يقيم اقامة شبه دائمة في اليونان وتربط المجموعة نفسها بمنصور الكخيا، الذي كان بعثيا قديما وعمل كدبلوماسي ووزير لخارجية حكومة القذافي والذي يبدو أنه يرفض أن يربط نفسه بأي مجموعة معارضة رغم ادعاك البعثيين بأنه منهم. تمثل الحركة الوطنية خطا مرتبطا تماما بالعراق وأغلب عناصرها تقيم في أمريكا وقد كان بعضهم من المعتقلين في السجون الليبية إلا أن حالة القذافي الجديدة في السعي لتحسين العلاقة مع بغداد قد أخرجت معظهم من السجون.

٣) الجبهة الوطنية الليبية: وهي المجموعة التي تمثل اليسار الماركسي، تصدر نشرة بإسم «الوطن» في أمريكا حيث الساحة الرئيسية لنشاطها.

٤) منظمة تحرير ليبيا: وهي الأسم الذي يطلق على مجموعة من رجال العهد الملكي تلتف حول عبد الحميد البكوش الذي كان آخر رئيس للوزراء في النظام الملكي. يقيم البكوش الآن في مصر ويعامل هناك كلاجئ سياسي. شخصيا البكوش كان شيوعيا في فترات شبابه ثم تحول الى سياسي انتهازي، يعتبر رجل ذكي وماهر في العلاقات السياسية

ولكن ذكائه لم يمنعه من تبني عملية اختطاف الطائرة الليبية إلى مالطة قبل فترة والتي ثبت فيما بعد أنها كانت عملية مدبره من أجد أجهزة القذافي. البكوش كان ولايزال من أكثر العناصر السياسية فسادا في الساحة الليبية، ومعظم القوى المعارضة الليبية تعتبر وجوده في الساحة تشويشا على العمل الحقيقي.

٥) الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا: تمثل الجبهة خطا وطنيا عاما، ولذا فهي من حيث التكوين أقرب إلى التآلف الذي مثل حركات التحرر الوطنية في العالم الثالث، حيث توجد في داخلها عناصر إسلامية وعناصر ليبرالية تحترم الإسلام بشكل عام، ويقول اعضاء الجبهة أنها أكبر التنظيمات المعارضة وذات وجود فعلي شعبي حقيقي خارج وداخل ليبيا. تأسست الجبهة في أكتوبر ١٩٨١م وأمينها العام هو د. محمد المقريف الذي عمل من قبل كمراجع عام للدولة في ليبيا وكان قبلها أستاذا في الجامعة. في عام ١٩٧٧م وبعد شنق الطلبة في جامعة بني غازي أقيل من منصبه حيث كان يشكل اتجاها معارضا للتدهور العام في البلاد، وعين كسفير في الهند وعام ١٩٨٠ أعلن استقالته من منصبه ثم عمل بعدها بقليل كأمين عام للجبهة المشكله حديثا.

٦) الاتجاهات الإسلامية: تتوزع الاتجاهات الإسلامية عدة مجموعات، منها كما ذكرنا سابقا من يعمل ضمن أطار الجبهة الوطنية للانقاذ، ومنها من يعمل ضمن جماعة التبليغ التي لا تحمل أي توجهات سياسية كبقية جماعات التبليغ المنتشرة في الوطن الإسلامي. ولكن أبرزها في الساحة الليبية الإسلامية: حزب التحرير الذي بدأ نشاطه يبرز منذ أعلن عن سجن مجموعة من عناصره في ١٩٧٣ والذين كانوا ومايزالوا أكثر العناصر تصلبا في السجن وخارجه، في أبريل ١٩٨٣ أعدم في ساحة كلية الهندسة أحد شباب الحزب محمد مهذب إحفاف في عملية اجرامية بشعة لارهاب بقية الشباب المسلمين ولازال الحزب يعاني من الضربات والملاحقات في داخل ليبيا. الاتجاه الآخر ويمثله الأخوان المسلمين الليبيين وهي مجموعة ترتبط بأفكار وأطروحات وتراث الأخوان المسلمين الرئيسي ولكن لم يتأكد حتى الآن وجود ما يربطها بالتنظيم الدولي للأخوان المسلمين. أيضا، «الجماعة الإسلامية– ليبيا» التي يصدر عنها «مجلة المسلم» وهي تبدو من إطروحاتها قريبة الصلة بالأخوان المسلمين.

إضافة إلى ما سبق هناك «الاتحاد العام لطلبة ليبيا» وهو تجمع طلابي ذو نشاط بارز في الساحة الطلابية بالولايات المتحدة ويصدر عن الاتحاد مجلة تسمى «شهداء ليبيا». والاتحاد يمثل الطلاب المعارضون للنظام ويتميز عن الاتحاد الطلابي الرسمي المرتبط بالنظام.

المسائل الأساسية حول المعارضة الليبية، أو المشاكل الرئيسية يمكن تحديدها بما يلي:

١– أن المعارضة حتى الآن ورغم السخط الشعبي العام داخل ليبيا فإن بنيتها الرئيسية في الخارج أكثر منها في الداخل. يبرر البعض ذلك بالارهاب الشرس الذي يمارسه



راهبات العقيد

النظام. ولكن الحقيقة تبدو أبعد من ذلك وتمتد إلى تاريخ ليبيا الحديث حيث كان العمل السياسي وحتى جلاء المستعمرين محددا في العمل الشعبي العام من خلال الزوايا السنوسية وعلى أسس العمل الإسلامي المباشر، أي الارتباط الثلاثي بين الأمة والعقيدة والهيئة القيادة البسيطة التنظيم. القذافي ازاح النظام السابق بانقلاب عسكري ولم يكن هناك حتى على المستوى الجنيني أي تكوين سياسي حديث يمكن أن يمثل بعدا تاريخيا للحركة المعاصرة. ولذا فالمجموعات الناشئة الآن والتي تحاول العمل السياسي ضد النظام وكمعظم شباب الوطن الإسلامي تحمل في ذهنها صورة التنظيم السياسي الغربي كمثل أعلى لإداة العمل، ولعل أهم خصائص التنظيم الغربي أن أمامه خياران: الأول: أن يعارض جذريا وحتى النهاية وفي هذه الحالة من الصعب أن يكون تنظيما جماهيريا ضخما لأن عملية ضربه من النظام واستمرار توجيه الضربات له مسألة سهلة. الخيار الثاني: أن يوجد في وضع يصبح فيه النظام في حاجة لتقديم بعض التنازلات وهنا يتنازل المعارضون أيضا ويلتقي الاثنان عند نقطة السماح للمعارضة بممارسة النشاط ضمن حدود معينة، كما يحدث على سبيل المثال في مصر وتونس وباكستان وتركيا... وفي هذه الحالة

يتخلى المعارضون عن أهدافهم الأساسية ويصبحون جزءا من لعبة التوازن داخل الدولة.

ولذا فالمشكلة الرئيسية أمام العمل السياسي الليبي، مشكلة وجوده بين جماهيره وارتباطه المباشر واليومي بساحتها تبدو على الارجح أنها مشكلة النظرية التنظيمية.. نظرية العمل الثوري الصواب في المجتمع والمكان المحددين.

٢- المشكلة الثانية: في ساحة المعارضة الليبية هي مشكلة الإسلاميي، ففي مجتمع صغير نسبيا وعلى أرض متسعة تجعل الكثافة السكانية منخفضة إلى حد كبير نجد الإسلاميين موزعين على عدة اتجاهات وأحيانا خارج اطار أجنحة الحركة الإسلامية لأنهم يجدون -على سبيل المثال- الجبهة الوطنية للانقاذ أكثر فعالية من الأجنحة الإسلامية.

ان تراث ليبيا الحديث وبشكل أكثر وضوحا من أي مكان آخر في المنطقة، هو تراث النضال الإسلامي، والشعب الليبي لم يستفزه شيئ في بدع حكومة القذافي كما استفزته عمليات المساس بالإسلام، ويبدو واضحا أن لا سبيل حقيقي وطبيعي وفعال.. وصائب قبل كل ذلك وبعده إلى السبيل الإسلامي للثورة.

كيف تحل المعارضة الليبية مشاكلها؟ كيف تجد العناصر الإسلامية التي هي العمود الرئيسي لحركة المعارضة -كيفا وكما- طريقها نحو الفعالية الجماهيرية؟ أسئلة هامة تحتاج إلى الكثير من الفكر.. العرق وربما الدم للاجابة عليها.

أحمد صادق

ملاحظات حول المهمة التاريخية

إننا مدعوون من دوافع كثيرة من أهمها ايماننا ووظيفتنا الاجتماعية إلى وقفة مع الذات في محاولة نقد جذرية وبعيدا عن التجريح المذموم.. بعيدا عن التعرض للأشخاص والهيئات علينا أن نقف وبجرأة رائدها الوعي والحرص على أن تتم المحاولة بقدر الإمكان بعيدا عن مواطن الاستفزاز التي تعشش دوما في جو من الجهل واللامسئولية.

الوقفة مع الذات تحتاج إلى ميزان يتحكم في معيار تقديرنا لذواتنا، بدونه سنكون كمن يدور في حلقات مفرغة والميزان هذا يستمد صلاحيته من إستقراء للسنن الإلهية عبر تاريخنا الهابيلي ويستمد صحته وأحقيته من قوانين الله في القرآن -كتاب الله- الذي سيكون له -كما كان- الدور الرئيسي والفعال في إيجاد تجمع بشري ذي خصائص لا يحكمها إلا أن يكون في «جنب الله» مجتمعا عرفانيا موصولا بأسباب السماء.

وقبل أن نحدد ملامح هذا الميزان وندخل في تفصيل المقارنة بين الأصل وبين أي صورة من صور المجتمعات أو التجمعات التي تحاول أن تكون رسالية علينا أن نقرر بديهيتين الأولى: تتعلق بالظرف التاريخي المصاحب للرسالة -أي رسالة سماوية- وفي هذا الصدد نجد أن أنبياء الله ورسله عليهم السلام كانوا بانبعاثهم يشكلون مفصلا بين مرحلتين.. مرحلة ظلام الجاهلية ومرحلة نور الإسلام ولما كان الإنتقال من الأولى للثانية صعبا بل مستحيلا فإن عملية التحول تحتاج إلى معجزة أو إعجاز يهز الوجدان الإنساني ويحدث الخلخلة المطلوبة داخل البنى الفكرية الجاهلية.. في هذا الإطار نستطيع فهم التحدي الذي ألقاه سيدنا موسى عليه السلام في مواجهة دعائم الطاغوت حيث تحدى فرعون في أسباب بقائه -السحر- وما تصديق السحرة وإيمانهم بربِّ هارون وموسى إلا دليلا على قوة هذا الإعجاز.

كذلك جوهر الحال مع سيدنا عيسى الذي جاء لتصحيح مسار الرسالة والمهمة الموسوية.. جاء بإعجاز من جنس ما أقر القوم على أنه رمز العظمة -الطب- وفي مقابل أنَّهم كانوا يشفون المريض كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى -بإذن الله-..

ودعوة محمد ﷺ تحدث القوم فيما كان إليه ينسب الشرف الاجتماعي -فصاحة القول- فجاء القرآن يتحداهم في أن يأتوا بسورة من مثله ووقف الناس من هذا الاعجاز موقفا واحدا وهو يقينهم بأنه ليس من عند محمد ولا من عند بشر، وما موقف الوليد بن المغيرة -الكافر- من القرآن وموقف عمر بن الخطاب -المسلم- من القرآن إلاَّ دليل بيِّن على مدى إحساسهم بأن هذا القرآن أفصح وأبلغ مما تعارفوا عليه.

البديهية الثانية: -[المهمة التاريخية للرسالة]

عندما يغيب الإسلام عن دفة الحكم والتوجيه للنشاط الاجتماعي بفصوله يقع الجور والظلم ويتمادى الظلم حتى يصل إلى درجة لا يطاق معها.. في هذه

الدرجة التي تتحطم عندها كل إمكانيات الحياة الإنسانية الكريمة مثل العدل والخير والرحمة والمساواة.. تأتي الرسالة تميز وبدقة متناهية بين الظالمين والمستفيدين من التحريف أو القمع وبين المستضعفين الواقعين تحت تأثير المشروع الاستعبادي واول ما تميزه الرسالة هو أدوات الاستعباد مثل «العنف والذهب والتزوير» فتقف موقفا حادا لا يقبل المهادنة ضد الظلم السياسي وكذلك تحارب الاستغلال الشيطاني للذهب –المال بعمومه– وتوجيه في غير وظيفته الاجتماعية العادلة.. وكذلك الحال تقف الرسالة ضد التزوير الديني وتحاربه حربا يخلص الدين من خلالها وفي نهايتها لله الواحد القهار.

بعد هذا نرى أنه لتحديد ملامح أي نظرية إسلامية على صعيد الحركة لابد من تمثل الجيل القرآني الأول الذي صنعته الرسالة في ذلك الظرف التاريخي الصعب لأداء تلك المهمة التاريخية الشاقة ونحن نتأمل هذا الجيل القرآني الأمثل نجد أنه وفي مكة كان يمارس أرقى صور النضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي يعني ضد العنف السياسي المتمثل في أبي لهب وأبي جهل وسلطة المال التي كانت تصل لشراء اللحم البشري وحريات الناس ومواقفهم، والتي كانت أيضا تتمثل في طبقات المطففين والمترفين والذين لا يحضّون على طعام المسكين ويدعُّون اليتم.

وكان هذا الجيل كذلك يخوض معركته الشريفة وهو في مكة ضد المظالم التي كانت تلحق بالمرأة.. وكان يواجه وهو في مكة من الحين إلى الآخر معركته وجهاده بالحجة البينه ضد التزيف والتزوير اللذين كان اليهود يستخدمانهما في التأليب على رسول الله– ﷺ.

هذا كان يعني بالنسبة للجيل الأول إنحيازا تاما للحقيقة مجردة وللمستضعفين المظلومين والتوجه بهذا الدين توجها خالصا لله سبحانه والركون ركونا لاشك فيه إلى قدرة المولى.

ما الذي تحكم في مواقف النضال هذه أو دفع اليها؟ هل هو الإسلام، بما فيه هذا الذي تعرفه ملايين المسلمين اليوم؟! هل هو الاعتقاد بالإسلام أو الله بمثل هذا الاعتقاد السائر بيننا؟! أي إسلام وأي إيمان دفعهم أن يحرقوا كل سفن النجاة وأن يكونوا فقط في جنب الله؟! إنَّ المتأمل في مجموع أنشطة الفرد من ذلك الجيل القرآني الأول يلاحظ جملة حقائق أدت مفعولها في التفاعل مع العاطفة والإرادة في تكوين ذلك الفرد.

تلك الحقائق هي :–

أولا : حقيقة الله :–

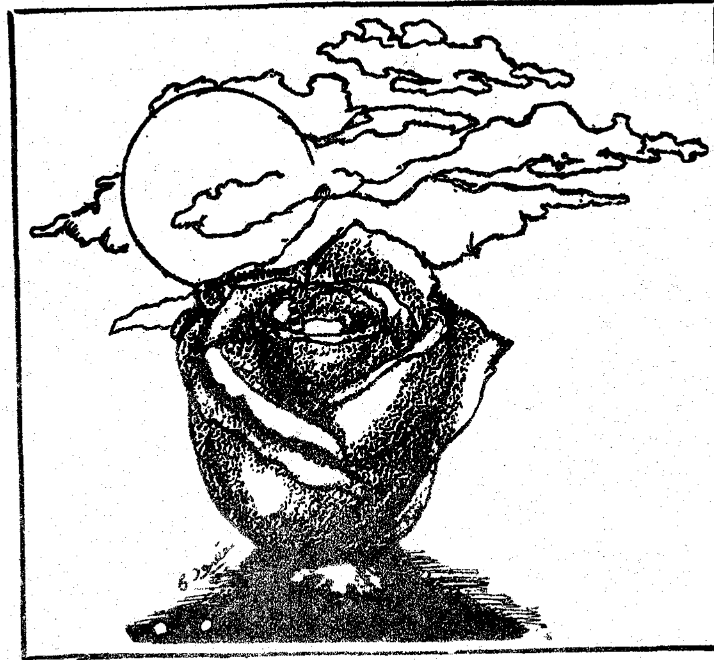
فالله عند هذا الجيل هو الإله الذي يراقب ويحصي ويسمع، والإله الذي لا يسأل عما يفعل والفعال لما يريد هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين والقريب. حقيقة الله في ذهن الواحد منهم كانت حقيقة فاعلة نشطة تتجدد باستمرار مع النضال اليومي هذه الحقيقة التي كانت تصفها أسماء الله الحسنى وتوحي بها آياته المعجزة في القرآن والكون.

ثانيا : حقيقة الدين :–

حقيقة أخرى جلية الوضوح في أذهان ذلك الجيل.. لقد كان الدين بالنسبة لذلك الجيل نورا على بدايات كل سبل المعرفة والوعي ومصاحبا في كل رحلات الاستكشاف والتدبر في الكون.. لقد كان الدين بالنسبة لذلك الجيل داعية فذ للتأمل وللتساؤل وللتذوق فأحيا الدين في نفوس هذا الجيل حاسة الوعي وحاسة الإختيار وعشق العرفان.

ثالثا : حقيقة كتاب هذا الدين :

الدستور الشامل والفسيح للرحلة البشرية من محمد ﷺ إلى يوم القيامة والشاهد على الرحلة البشرية من آدم.. هذا الكتاب نجد العدد القليل القليل من آياته هو الذي تحدث عن تفصيلات أداء العبادات حتى أنه كثير من الأحكام لم تفصل أو لم



ترد مثل تفصيل الزكاة ورجم الزاني والزانية إذا كان زناهما بعد زواج.. وعندما كان يذكر عباده –لا تفصيل– لا يذكرها مجردة بل يربطها مع المهمة الرسالية التي جعلت هذه العبادة من أجلها وهي التصفية المستمرة –كما يريد الله– للإنسان والمجتمع نحو التكامل الذي يؤهل هذا المجتمع إلى الدور القيادي.. ولكن معظم آيات القرآن والتي تشغل حيزاً كبيراً من هذا الدستور الخالد تتعلق بوضع قوانين وسنن في الصراع بين جبهة الحق وجبهة الباطل.. والسنن الرئيسية في تكوين الأشخاص والتجمعات الرسالية.. والسنن المرافقة لتكون هذه التجمعات والمرافقة كذلك لجهادها.

رابعا : حقيقة القائد [النبي] :–

من أي المواقع جاء.. ونحو أي المواقع توجه. لم يكن النبي حاكم ولا رجل دين تحريفي ولا مرابي استخدم هذا الدين وسيلة تحقق له مكانة إجتماعية من خلال استعباد الناس بالدين. لقد جاء محمد ﷺ يتيما وخرج من هذه الدنيا لا يملك إلا سبع دراهم يصر وبإلحاح على السيدة عائشة أن تخرجها قبل موته..

لقد ضحى محمد ﷺ في جهاده المكي بكل شيءٍ حيث الحصار الاجتماعي وتطليق بناته، والحصار الاقتصادي حيث شعب أبي طالب، والحرب الإعلامية القذرة التي كان يقودها أبو لهب وامرأته والرموز القرشية ذات الوجاهة والسلطان. واجه هذا كله دون أي نوع من المهادنه واللين العقائدي.. بل كما قال ﷺ : «إنما جئتكم بالذبح» لقد كان هذا القائد –قائد التجمع الرسالي– ﷺ أخا للمستضعفين ومدافعا عن الأرامل وأبا لليتامى لقد كان يذوب عطفا على المحرومين والمساكين وكان حربا

لا تنتهي ضد كل أشكال الظلم والزيف والاستغلال بهذا كان ﷺ المثل الأمثل للقائد في التجمع الرسالي الأمثل.

خامسا : حقيقة الاتباع :—

هؤلاء الحواريين من آله وصحبه الكرام الذين كان واضحا في علاقتهم مع محمد ﷺ بأنَّ الذوبان في الشوق اليه وهو بينهم والحب الشديد لشخصه لم يحرمهم مناقشته وإبداء رأيهم حتى في بعض الأحيان بصوت مرتفع [صلح الحديبه] مع علمهم «إن هو إلا وحي يوحي» وأنه أكثر منهم إخلاصا وأكثر منهم وعيا وأقدر منهم تقيبا لمصلحة الإسلام.. لقد كان يدفعهم الرسول ﷺ دفعا إلى إحياء الشورى والتناصح على محور ثانٍ في إطار علاقتهم ببعضهم البعض.. لقد كان واضحا حبهم لبعضهم البعض الأمر الذي خلده القرآني بقطعية دلالته «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» و«ولكن الله ألف بينهم».. كان حبهم لبعضهم البعض مدعاة لأن يباهي الله بهم ملائكته ويجعلهم في مكانة يغبطهم عليها النبيون والصديقون والشهداء.

ومع هذا كله فلم يحجبوا عن أن يقولوا للخطأ أنيَّ كان مصدره حتى لو كان من أعلمهم.. لا.. إن هذا خطأ.. بل يتجاوزوا هذا الموقف الرفضي إلى موقف التصحيح بالسيف كما ورد عن أحد الصحابه في مواجهة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.. لأنهم كانوا يدركون أن لا أخوة ولا محبة إلا على المحجة البيضاء.

والمحور الثالث في حقيقة جوهر الأتباع : هو تعاملهم مع الناس الضالّين الذي يسيرون تحت تأثير سلطان الاستكبار والجور والتحريف.. لقد كان هذا الجيل القرآني داعية نصوح مخلصا محبا للناس مشفقا عليهم من عذاب يوم عظيم. كان يسعد لتوبة العصاة ويفرحه هداية الناس فرحا يعطيه بعده الإنساني.

هذه الحقائق جميعها حقيقة الله —حقيقة الدين وكتابه— حقيقة النبي وظهوره حقيقة الحواريين الذين صنعهم الإسلام.. حقائق كان لها الفعالية في تشكيل الإنسان الرسالي ولها التأثير الواضح على مجمل نضالاته اليومية على كل الأصعدة.. والفاحص لمصداقيتها هو السؤال الآتي : من يستعدي هذا التجمع، فإذا إستعدي الطاغوت أي الشيطان فهو تجمع رسالي.

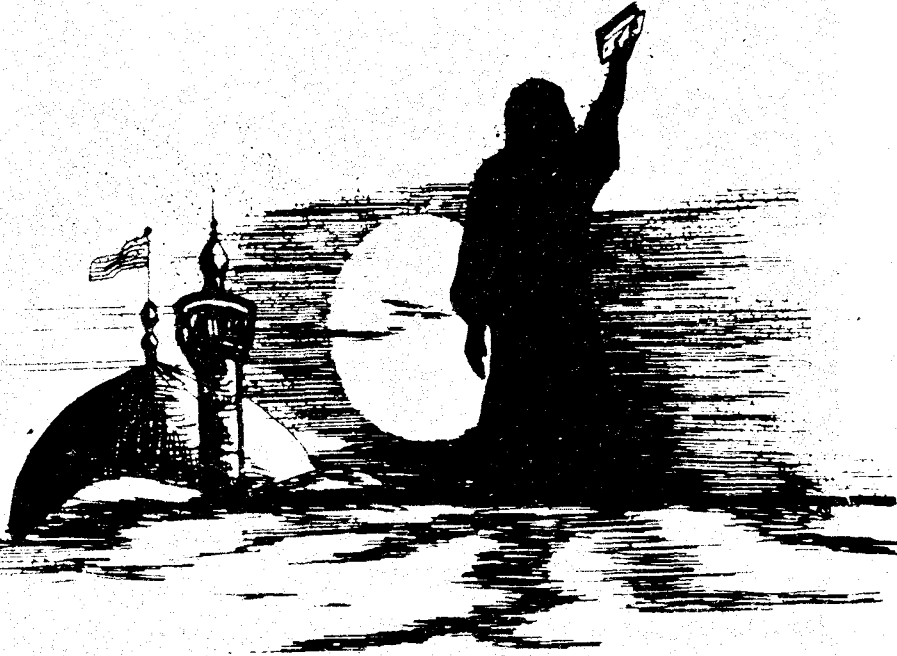
هذا هو الميزان الذي يمكن أن نتبناه قبل أن نقف مع ذواتنا في عملية نقدية. لا أريد أن أدخل في تقرير لحال تكتلاتنا وتجمعاتنا وفق هذا الأصل الذي تقدم ذكره ولكني أدعو إلى أن نكون في جنب الله دون مكابره حين ذاك سنحس أن بعض هذه الحقائق أو معظمها غائب تمثلها وادراكها والممارسة تحت تأثيرها.. وعلى أحسن الاحتمالات فإن كانت موجودة فهي عبارة عن ثقافة نتحمل الوزر في عدم الالتزام بها.

إن وقفة مع الذات تكاد تكون أهم من كل شيً لأنها ستقودنا ومن خلال هذا الميزان إلى اكتشاف مواقع ضعفنا وإحداث التغيير لما بأنفسنا وهذا هو شرط تحول الأمور حوالينا.

لأنَّ النصر كما هو مدرك عندنا لا يكون أحد طرفي معادلة فيها تكون إمكانياتنا وحجمها في الطرف الثاني بل هو في معادلة يكون طرفها الثاني سيرنا وفق سنن الله في تكوين وسير الحركة الرسالية.

هذا المقال دعوة لكل مسلم يرى أنه في موقع المسئولية أو موقع الدعوة إلى الله أيا كان هذا الموقع.. دعوة إلى الوقوف مع الذات.. ومقارنة وضعنا وما عليه حالنا بالأصل الجيل القرآني الأول —والوقوف بجرأة مع أي نتيجة قد نصل اليها عقب محاولة نقد جذرية لذواتنا.

ومن المؤكد إن حركة قادرة على تصحيح نفسها تمتلك الإرادة على توجيه مسيرها وفق قوانينها



ومواجهة عدوها بعزم وثبات وبلا تناقض..! إنما هي حركة جديرة بالبقاء. وإن حركة تتخلى عن أهم شروط إسلاميتها وهي مقارعة المظالم ولا تستطيع أن تحدث التغيير بداخلها وباستمرار نحو الأفضل وتكون آسيرة واقعها تسير وفق إرادة غيرها.. إنما هي حركة بالتأكيد منتهية كما تنتهي دوما أي تجربة بشرية فاشلة.

فعلينا ان نختار —على قاعدة وعينا— قوانين الله التي تتحكم في تسيير التاريخ ونلتزم بهذا الاختيار بلا تلعثم أو تردد مهما كانت النتائج حينذاك سنكون في جنب الله.. اللهم تقبل منا واجعل دماءنا قربانا للعرفان بك آمين.

صلاح الدين فتحي

الجنرال يؤدب الشعب ويهدد مستقبله

حالة السلام والهدوء التي حققها الحكم العسكري وقوانينه العرفية التي فرضها ضياء الحق على الأمة في باكستان والتي تفاخر بها الجنرال في ١٢ أغسطس الماضي، قد حطمت، فقط، بعد يومين من تبجحه في ذكرى استقلال باكستان (!). لقد توالت التظاهرات والاضطرابات وعمت حالة العصيان المدني كل انحاء باكستان بعد اعلان الجنرال لبرنامجه في الإصلاح السياسي (!).

إن نجاح ضياء الحق في تحويل الرياح بعيدا عن مراكب الأحزاب القديمة المترنحة، التي حذرته من قبل بأنها ستثير الشارع ضده في «حركة احياء الديمقراطية» كان نجاحا قصيرا، وقد أثبتت الاحداث المتتالية أن تصور الجنرال لنجاحه دائما كلاعب سياسي قد وجهت له صفعة قوية، بل أكثر من ذلك أنه يواجه الآن أخطر تحد لسلطته. ورغم القانون العرفي الذي يمنع النشاطات السياسية فإن الجماهير قد اندفعت إلى الشارع بالآلاف مطالبة: بانهاء القوانين العرفية، باستقالة الجنرال ضياء، بإعادة دستور ١٩٧٣، بسحب قوات الجيش من الشارع، بالافراج عن المعتقلين وبالانتخابات العامة.

هذا ولم تستطيع كل الوسائل المستخدمة حتى الآن –ايقاف حركة الاحتجاج العامة– ابتداءا من اعتقال معظم الزعماء السياسيين في حركة المعارضة، مرورا بالمحاكمات السريعة للمئات وأحكام السجن والتغريم واستخدام قنابل الغاز وقذائف البلاستيك وحتى الرصاص الحي، انتهاءا بعشرات القتلى في الشوارع. بل أن ذلك لم يمنع المتظاهرين من مهاجمة المؤسسات الحكومية والسجون وكل ما يمثل السلطة في طريقهم.

إلا أن شدة وكثافة التحرك في مقاطعة «السند» –مما يهدد قضية وحدة الباكستان– قد أصاب كل من الحكومة والمعارضة بالدهشة، ففي مدن مثل كراتشي وحيدر آباد لم يكن هناك أي تحرك فعلي تحت قيادة تجار العمل السياسي، ولكن في المدن الأصغر مثل دادو، جامشورو، خيربور، ناوباشا، ثاربارکر، جاكوباباد، لاركانا وسوكور قام النظام باستدعاء قوات الجيش لتحطيم الحركة الجماهيرية. وقد عم التحرك كل القطاعات ابتداءا من قيادات الاقطاع وملاك الأراضي من أنصار حزب بوتو –رئيس الوزارة السابق– مرورا بالقيادات الدينية التقليدية وانتهاءا بمنظمات الطلاب ذات الاتجاهات المتعددة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

هذا وقد وردت أشارات عديدة على أن حزب الشعب –حزب بوتو– قد أذاع تقارير



جيش الجنرال

سابقة على أن باكستان ستتحرك نحو الانقسام أن لم يحدث تغيير حقيقي في الأوضاع السياسية السائدة.

الاهتزاز والقلق ومن ثم الانتفاض العام بدأ مباشرة أثر الاعلان الذي أذاعه الجنرال ضياء الحق في ١٢ أغسطس الماضي حول مستقبل باكستان. الجنرال تجتاحه رغبة شديدة في تغيير صورة باكستان الحالية المحكومة حكما عسكريا منذ الانقلاب العسكري. وقد وضع ضياء الحق مزيجا سحريا من الديمقراطية والإسلام بوجود مجلس للشورى كان قد عينه سابقا لإعطائه النصح والمشورة. وقد وعد باجراء انتخابات عامة في ٢٣ مارس ١٩٨٥ على أن يكون ذلك أثر تعديلات هامة ستجري على الدستور –المعلق الآن– لباكستان والذي تم اعلانه ١٩٧٣، إلا أن قانون الطوارئ المفروض على أعناق الشعب الباكستاني المسلم لن يتم سحبه إلا بعد الانتخابات الموعودة. هذا وقد أعلن الجنرال أيضا أن التعديلات التي ستجري على الدستور لن تحدث أي تغيير أساسي في طبيعة النظام البرلماني لباكستان وكان ذلك يرسل التطمينات للنخبة الباكستانية ذات الحس الغربي والتي يهمها النظام البرلماني إلى حد كبير، إلا أنه أشار إلى أن مركز القوة في الدولة ستنتقل من رئيس الوزراء إلى الرئيس. القوة الرئيسية التي سيكون لها فاعلية قد تتجاوز سلطات الرئيس هي «مجلس الأمن القومي» الذي يبدو حتى الآن كعامل غامض في التركيبة القادمة. وان كان المجلس اطارا

لدور الجيش في السياسة كما يتوقع الكثيرون فهذا يعني تماما أن الجيش سيعود وهذه المرة دستوريا وديمقراطيا (!) ليحكم ويقرر ويعلن حالة الطوارئ في الوقت والظرف الذي يريده وكأن لا شيء قد تغير. مع الاشارة هنا إلى أن الجنرال قد انتقد مرارا دستور ١٩٧٣م الذي لم يستطع أن يمنع الأزمة من التصاعد في باكستان السبعينات، ربما لأن الجنرال «كجندي بسيط» لم يستطع أن يدرك أن أي دستور في العالم لن ينجح إلا اذا رغبت القوى المؤثرة تحت احكامه في انجاحه.

ماذا يريد الجنرال اذن؟ هذا هو السؤال:

ضياء الحق، الحاكم العسكري لباكستان كان على الدوام وطول السنوات الماضية يعد الجماهير باقامة حكومة تحكمها الأسس الإسلامية وتنتهج سياسيا واجتماعيا نهجا إسلاميا حقيقيا، وذلك قبل -أو- بموعد اقصاه ١٤ أغسطس من هذا العام، والذي يصادف ذكرى يوم استقلال باكستان. قبل الموعد بيومين أعلن الجنرال مشروع دولته الموعودة واذا بها نظام رئاسي يستند على قشرة ديمقراطية برلمانية. وقد ضبطت كل الأمور لتضمن راحة الرئيس وسيطرته واستقرار حكمه والتخلص من أي معارض قد تواجهه. وقد كان من المفروض أن المشروع المعلن قد إستند على توصيات مجلس للمفكرين والعلماء كلجنة تأسيسية لمجلس شورى، والحقيقة أن ما حدث كان مجرد حوار متقطع داخل مؤسسات الدولة ولجنة شكلت في الشهر الماضي برئاسة مولانا ظفر أحمد أنصاري وكانت النتيجة مشروع نظام يطابق «الموديل» التركي الذي يحكم به في انقره الجنرال ايفرين والذي حقق الدكتاتورية الفردية بالدستور وأحاطها بضمانات جنرالات الجيش.

من الواضح مما سبق أن ضياء الحق لم يطرح في مشروعه أي طرح قد يجلب التعاطف الجماهيري مع تصوراته لمستقبل باكستان، فهل غفل الجنرال عن حاجته للدعم الجماهيري؟ في الحقيقة أنه لم يغفل فقد تصور أن الإسلام سيكون مدخله إلى كسب التعاطف الجماهيري، فقد أعلن أن دولته المقبلة ستعطي الأولوية لتطبيق الشريعة الإسلامية وقد نسى أن يشير إلى أي شريعة تلك التي ستطبق مع دكتاتورية الرئيس. المهم، كان هناك في الخلف تجهيز جاد ضمن ما يسمى «بحركة دعم ضياء» لإعطاء تغطية جماهيرية لمشروع الجنرال. إلا أن الانفجار الكبير غطى على كل آمال الرئيس في اعطاء صورة شعبية لحكمه أو لمشروعه.

هل هذا كل شيء؟ لا يبدو ذلك، اذ أن تأجيل الانتخابات ثمانية عشرة شهرا يعني أن الجنرال يخطط لمزيد من التعديلات ومزيد من التفاصيل حتى يصبح مشروعه جاهزا لضبط الأمور بلا خلل فالأرجح أنه سيقوم في نهاية الأمر بالغاء العمل الحزبي لأن ذلك لا يلائم دولة الإسلام التي ينشدها أو لأن ذلك هو تماما ما قام به الجنرالات من أصدقائه في تركيا في تجربتهم الرائدة لتصحيح سير النموذج الغربي البرلماني ليناسب تماما الوضع في الوطن

الإسلامي، أي بتحويله إلى دكتاتورية دستورية.

قبل ثلاثة أعوام عندما رفع الجنرال ايفرين عصاه في انقره لم ينتبه الكثير من المسلمين إلى خطورة ما حدث، ليس فقط الخطر على الإسلام في تركيا، بل الخطر على معظم أقطار الوطن الإسلامي، ذلك أن الغرب ومنذ زمن طويل جعل من تركيا مختبرا لعملية تجريد الوطن الإسلامي من الإسلام، وها نحن نشاهد باكستان تُقاد بيد الجنرالات إلى نفس «الموديل»، فهل يستمر العسكر المحترمون، خريجو التربية العسكرية الغربية، وأصابع أجهزة السيطرة العالمية، في تنفيذ مخططات التدمير والهيمنة في الوطن الإسلامي وعلى جماهيره أم أن الجماهير ستكون هي المنتصرة هذه المرة؟ ذلك هو سؤال باكستان الرئيسي اليوم.

نظريا مشروع ضياء الحق هو محاولة للعودة للحياة البرلمانية ولكنها أساس محاولة لنفخ الحياة في الجسد الميت للنظام الدستوري الغربي، وقد صاحب ذلك إدعاءات متواصلة أن المشروع سيحقق لباكستان حياة إسلامية وسينقذها من الاضطرابات التي توالت عليها منذ يوم الاستقلال.

ما هي ملامح مشروع الجنرال التي يطمح بأن تحقق إسلامية الحكم في باكستان؟ في البداية يحدد المشروع سلطات رئيس الجمهورية التي ستشمل تعيين رئيس الوزراء وعزله أيضا، على أن رئيس الوزراء سيحتاج إلى ثقة من المجلس الوطني (برلمان الدولة) ولكن بامكانه أن يواصل عمله في المنصب لمدة أقصاها شهرين يطلب بعدها الثقة من المجلس، والواضح أن هذه فترة كافية لرئيس الوزراء ليجمع العوامل التي تجعله يحصل على أغلبية أصوات المجلس، على أن المهم في النهاية أن رئيس الوزراء الذي لا يشترط فيه أن يكون عضوا منتخبا من المجلس، سيكون في الحقيقة رجل النعم لرئيس الجمهورية، ذلك أن حصوله على المنصب وبقائه وذهابه سيكون تماما بيد الرئيس.

أما العلاقة بين المجلس والرئيس فهي بلاشك أكثر اضحاكا، فإن حدث اختلاف جوهري بين الرئيس وأغلبية المجلس فالرئيس باق والمجلس يحل، وفي حالة رغبة الرئيس في فرض أي تعديلات جوهرية على الحياة السياسية فابمكانه حل المجلس والدعوة إلى انتخابات جديدة، باختصار، رئيس الجمهورية سيكون سوبر رئيس. أما وضع الجيش فسيعين على أساس أن الرئيس هو القائد العام، وهو الذي سيعين قائد الاركان وقادة القوات الثلاث، على أن المهم أن المشروع يطرح مجلسا يسمى بمجلس الأمن القومي الذي سيكون بيده صلاحية اعلان حالة الطوارئ في البلاد والعودة إلى الأحوال العرفية.

ورغم أن مشروع الجنرال قد وعد بانتخابات عامة في ١٩٨٥ إلا انه لم يشر إلى أي دور لأحزاب المعارضة أو اذا ما كانت الانتخابات ستعقد على أساس التعدد الحزبي أم لا.

حول المشروع الإسلامي المعاصر (١)

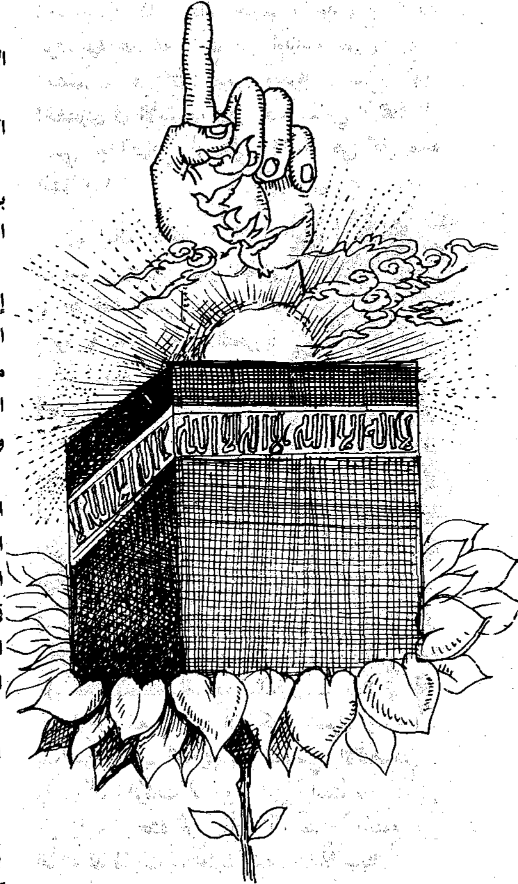
الحركة الإسلامية المعاصرة ودورها في النهضة

إن النهوض بالأمة لا يكفي بمجرد الحاجة إلى النهضة الحضارية كما لا يكفي أن نتحدث عن الأخطار المحدقة بالأمة وكذلك لا يكفي التحدث عن تاريخ الأمة الحضاري.. اذا لم يكن هناك منهج عملي حضاري متكامل لكي نستطيع من خلاله النهوض بالأمة إلى مستوى الأحداث والوقوف أمام التحدي الحضاري الموجه إلى جذور شخصية أمتنا. إن ميعاد النهضة الحضارية يبدأ باليقظة والوعي للواقع الذي نعيشه وعبر ذلك نؤمن إيمانا كاملا بأن واقعنا يوحي بضرورة النهضة.. فموعد النهضة هو ذلك اليوم الذي تشعر فيه أمتنا بانها تسير في طريق الانهيار بعد أن كانت سيدة الأمم الحضارية المتقدمة ومن هنا فان علينا أن نعي هذه الحقيقة الموضوعية وهي: إن السقوط الحضاري لأمتنا لم يبدأ بالتدحرج من القمة إلى الأسفل، بل إن سقوطنا وانهزامنا جاء تدرجا لعوامل أساسية تغافلنا عنها ولازلنا كذلك، كما أن صعودنا إلى القمة حرة أخرى لن يكون إلا عبر سلم أوليات النهضة، فالصعود لابد له من سلالم.. ومن درجات هذا الصعود هو اليقظة والوعي.. في الأمة.. وفي واقعنا المأساوي المعاصر..

وعند الحديث عن الحركة الإسلامية المعاصرة والتي تقود التحدي الحضاري لابد من التركيز على.. هذا السؤال وبدقة موضوعية..

هل تستطيع الحركة الإسلامية المعاصرة مواجهة التحدي الحضاري والذي تعيشه أمتنا مع القوى الامبريالية العالمية؟؟

إن هذا السؤال يحمل في طياته الكثير من مواضيع النقاش والتأمل ولكن لندرس وبموضوعية تاريخ الحركة الإسلامية.. وتاريخ الحركات التحررية الأخرى.. ولنرى كيف تركت الحركة الإسلامية في تاريخنا آثارا حضارية وتغييرية كثيرة ولأسباب ولربما لعوامل ذاتية.. لم تستطع الحركة الإسلامية تاريخيا..



ان تستوعب مكاسبها ومنجزاتها.. ولهذا فإننا نرى اليوم إن الحركة الإسلامية قادرة على قيادة هذا الصراع. (إذا توفرت لديها عوامل الارتفاع إلى مستوى المواجهة الحضارية).. وبعد أن فشلت التيارات الاصلاحية الأخرى في الاستمرار.. في التغيير الاجتماعي وذلك لعدة عوامل:

١) فقدان تلك التيارات الرؤية الصحيحة والواقعية لمعالجة الواقع الحضاري للأمة وبالتالي أخذت تستورد النظريات الشرقية والغربية والبعيدة عن الارتباط الاجتماعي والعقائدي بإمتنا مما أوقعها في صراعات جانبية بعيدة عن روح المشكلة الجوهرية في الأمة.

٢) اصطدام أيدلوجية تلك التيارات.. الاصلاحية.. بدين وحضارة وتاريخ الأمة..

٣) فشل تلك التيارات في تغيير أرضية الواقع بعد أن قبلت بالحلول الوسط وأساليب التغيير الشكلي.

٤) الارتباط الوثيق مع القوى الخارجية مما أدى إلى فقدانها الاستقلالية وبالتالي أصبحت تلك التيارات رقما ضعيفا في المعادلة الدولية وإلا فما الذي منع أكثر الأحزاب اليسارية واليمينية من احداث تغيير اجتماعي أو سياسي في المنطقة بالرغم من وجودها ومعاناتها مدد طويلة من الزمن فيها.

٥) التجربة المريرة لشعوبنا الإسلامية مع تلك التيارات الاصلاحية. ولكن أكثر موضوعية لتاريخ الحركات السياسية وعوامل فشلها فنرى أن هذه التيارات دخلت أرض المعركة الحضارية وهي تحمل في طياتها عوامل الهزيمة أمام العدو.. ولعل أبرز التيارات التحررية والتي كانت مصدر التوجيه السياسي للأمة كانت على نوعين:

١- التيار الليبرالي ذو الاتجاه الديمقراطي والوجه الرأسمالي.

٢- التيار القومي ذا الوجه الاشتراكي.

فالاتجاه الليبرالي كان ينادي بالديمقراطية.. لإيمانه بأنها الحل الوحيد لمشاكل الأمة ولعل أبرز نماذجه كان في مصر ما قبل انقلاب ١٩٥٢م وفي ظل الاستعمار البريطاني.. وقد عاشت الحركة الليبرالية أخطاءاً استراتيجية من أبرزها:

١- الانبهار بالحضارة الغربية اشاعة جو الهزيمة الثقافية في كثير من أبناء الأمة والذين باتوا يبحثون عن كل ما هو غربي لينقلوه إلى مجتمعاتنا..

٢- لقد كانت الشعارات السياسية والتي كان يرفعها التيار العلماني فارغة من المحتوى الحضاري.. لذلك لم يستطع أن يفجر الطاقات المكبوتة في الأمة ولم يستثمر الشعور الجماهيري الرافض للواقع السياسي.

ومن هنا فإن التيار الليبرالي أخذ تدريجيا يتحول إلى تيار مهادن للواقع المعاش.. وبالتالي تنازل عن مقاومة الاستعمار وطرده.. وعلى صعيد آخر.. أخذ يعمّق في الأمة ثقافة المستعمر وتربيته.. ومناهجه بل وحتى سياسته وذلك عبر سياسة التبعية.

— أما الاتجاه القومي: فقد نمى وترعرع في سلسلة الانقلابات العسكرية والتي كان يقودها هذا الاتجاه. والذي استطاع في البداية أن يلهب المشاعر الجماهيرية ويستقطب الكثير من القواعد الشعبية المؤملة في التغيير الحضاري.. ولكن سرعان ما تحوّلت شعارات هذا الاتجاه إلى أساليب دكتاتورية، لم تخف على جماهير المنطقة.. فالاتجاه القومي.. كان إلى حد بعيد يفتقد الايدلوجية الإسلامية الصحيحة.. فرفض في البداية السياسة الغربية.. واتجه نحو الشرق لكي يكون ذلك دعم له لمواجهة القوى الغربية.. وبالتالي فاننا وبوضوح نرى إن الاتجاه القومي ليست لديه أيدلوجية صافية في اتجاه النهضة الحضارية بل إن أغلب الاتجاهات القومية ذات الثقافة الاشتراكية سرعان ما تحولت إلى تيارات ماركسية. وبالتالي فان التيار القومي لم يستطع أن يقدم للأمة أية خطوة عملية على طريق النهضة الحضارية.

ومن هنا فاننا نرى أن الحركة الإسلامية هي أمل الأجيال وبها تستطيع الأمة امتلاك الديناميكية الحضارية. ولكن على الحركة الإسلامية وهي تخوض معركة النهضة الحضارية الشاملة أن تعي مجموعة حقائق موضوعية وهي:

أولاً: أكثر من نصف قرن مضى على سعي الأمة الإسلامية نحو النهضة الحديثة ولاتزال أمتنا في بداية مسيرتها وكأنها قد قطعت مسارا دائريا أدى بها إلى الموقع الأول ولدى تحليلنا للموقف بدقة نرى لنا ذلك لم يكن الأمر غامض إنما هو نتيجة لأحداث غير ممكنة التبدل والتي كانت الأمة تستوي فيها مع كل الأمم الأخرى بدون أن تعي حقيقة جوهر رسالتها.

ومن هنا فان على الحركة الإسلامية المعاصرة أن تحدد المشكلة الرئيسية في الأمة حتى تبلغ إلى معرفة الحد الجذري لها.. وذلك حسب ما تهدي إليه النظرة الموضوعية العميقة.. إن من أوليات طريق النهضة الحضارية هو تشخيص ومعرفة ووضوح الداء الحضاري في الأمة فهل هو: داء سياسي أو ثقافي أم نفسي أم اجتماعي أو ديني..؟؟ أم هي كل هذه المشاكل؟

إن إيمان الحركة الإسلامية المعاصرة بمبدأ التغيير والنهضة يستتبعه اختيار الطريق المناسب والوسائل المتاحة لهذا التغيير. ومن هنا فاننا نرى أن المشكلة الجوهرية لفشل الحركة التحررية في عالمنا العربي هي غياب الرؤية الصافية للمشكلة الجذرية في الأمة لهذا أخذت هذه الحركات التحررية مسارا بعيدا عن الاصلاح الجذري في الأمة مما اضطرها في النهاية إلى ترك ساحة النضال أو الاستسلام للواقع.. ولهذا نرى أن أغلب الاصلاحات السياسية والاجتماعية والثقافية والتي قامت بها حركة التحرر تتسّم بالسطحية المتناهية.. وفي حقيقة الأمر يبدو واضحا إن المشكلة في الأمة هي: «ابتعادها عن الطريق الحضاري والذي رسمه لنا الإسلام» ولهذا يجب أن تركز الجهود على اعادة أمتنا إلى هذا الطريق.. وبالتالي فان الاصلاح والتغيير يجب أن يكون شموليا ومنهجيا.. بدءاً من الجانب الفكري إلى السياسي والاقتصادي.. وذلك أن الحركات التحررية التي أرادت تغيير الواقع من زاوية واحدة أو أردات أن تصلح المجتمع من أطرافه قد فشلت في محاولة النهضة فشلا نهائيا.

ثانياً: على الحركة الإسلامية المعاصرة أن تستوعب بشكل واضح «الرسالة الإسلامية» بكل أبعادها الحياتية حتى لا تترك ثغرات في طريق نهضتنا بالأمة. إن المعركة الحضارية واضحة في وعي أعدائنا الامبرياليين.. فالعامل الرئيسي في دفع الأمة نحو النهضة الحضارية هو امتلاكها «للديناميكية الدينية» وروح الأصالة ولهذا يحاول الاستعمار وبكل ما أوتي من قوّة إبعاد الإسلام عن ساحة الحياة ولعل أبرز مثال على ذلك هو.. الصراع العربي الاسرائيلي.. حيث أستبعد الإسلام عن هذه المعركة الحضارية..



فاستفاد العدو الصهيوني من غياب معظم أبناء الأمة الإسلامية عن المعركة.. إن مهندسي الاستراتيجية الامبريالية يعتنون بهذه الأمة والتي سادت العالم مدة من الزمن.. ولذلك فهم يستهدفون تحطيمها بكل وسيلة ممكنة. ان المعركة بين أمتنا والقوى المعادية هي معركة مصيرية.. لا يجوز وبأي شكل من الأشكال التراجع أو التنازل لتلك القوى عن أشياء لكي يدعونا في سلام.. إن القوى المعادية تريد من أمتنا كل شئ.. إن القوى الامبريالية تريد منا أن نذّوب أنفسنا في بوتقة رغباتهم وسياستهم المعادية.. وهذا ما يحذرنا القرآن منه «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم».

إن القوى المعادية التي تتمثل في محور الصراع الحضاري لكل من الشرق والغرب تعسى بكل ما أوتيت أن تخضعنا للتنازل عن شخصيتنا الإسلامية لتستمر حالة التبعية المفروضة على الأمة —وهذا الانزلاق هو الخطر الحضاري الذي يتهددنا— إن دراساتنا للرسالة الإسلامية تعطينا الحصانة الفكرية والسياسية والحضارية ضد كل هذه التيارات.. إن رسالة الإسلام متكاملة الجوانب شمولية الأبعاد لذلك فهو حالة حضارية لا تقبل التجزئ أو التبعض إن الإسلام أرسى الكيان الحضاري المتكامل.. ولهذا نرى إن الإيمان ببعض الرسالة الإسلامية والكفر بالبعض الآخر هو كفر بالرسالة فالذي يؤمن بأن الإسلام صالح في الجانب الثقافي والروحي ولكنه ليس قادرا على انهاض الأمة صناعيا أو عسكريا فان إيمانه مشكوك فيه.. «كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين» ١٥/٩٣ وقال تعالى «أفتأمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب» ٨٥/٢

إن الإسلام منهج متكامل لهذا لا يمكن وبأي صورة من الصور أن يتعايش الإسلام بسبب شموليته مع سائر المناهج الفلسفية الأخرى. فهو كالطائرة لو لم تتكامل أجزاءها لا يمكن أن تحلق.. فإذا ركبّنا نصف الطائرة مع نصف سفينة فانها لن تحلّق ان الإسلام رسالة متكاملة «اليوم أكملت لكم دينكم».

ثالثا: إن الارتفاع إلى مستوى المواجهة الحضارية.. يتطلب وضع «استراتيجية متكاملة».. من جانب الحركة الإسلامية المعاصرة.. تستوحي من روح الإسلام ومعطيات العقل والعلم تبنياتها المستقبلية.. إن الاخلاص للقضية لا يكفي إذا لم توضع استراتيجية واضحة.. هناك الكثيرون لم يكن إخلاصهم ضمانا لقضيتهم وذهبوا في زحام الأخطاء المتعددة. وذلك نتيجة غياب الاستراتيجية. إن الطريق القصير للوصول بالأمة إلى الأهداف الحضارية هو في وضع استراتيجية واضحة في الصراع الحضاري.. والسؤال هو: كيف تستطيع الحركة الإسلامية المعاصرة وضع استراتيجية واضحة؟

هنا سأقوم فقط بعرض ملخص للعوامل الموضوعية التي تحكم طريق العمل وذلك حتى يمكننا مناقشة -موضوع الحركة الإسلامية المعاصرة في مقالات أخرى :

«إن العوامل الرئيسية في وضع استراتيجية متكاملة يمكن أن تتحدد كما يلي :

أولاً : دراسة التاريخ السياسي للحركات التحررية .. وأسباب وعوامل فشلها في المواجهة الحضارية .. فدراسة التاريخ السياسي مقوم رئيسي للحركة الإسلامية وذلك لـ :

١) دراستنا للتاريخ تهدينا إلى تحديد مشاكل الأمة وسلبياتها العالقة وتحديد جذورها التاريخية والتي أدت بها إلى هذا التدهور العام .

٢) التاريخ يعطينا الحلول الناجحة على ضوء الاستفادة من الممارسات التاريخية .

٣) إن الإسلام يؤكد على دراسة التاريخ من خلال القرآن .

قال تعالى «قد خلت من قبلكم سنين فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» آل عمران ١٣٧-١٣٨ .

وأنظر سورة (البقرة- الروم- فاطر- يوسف) لتجد العديد من الاشارات والتركيز القرآني لى وعي السباق التاريخي للأمم .

ثانياً : الاستفادة من الامكانيات المادية المتاحة في الساحة الإسلامية من وسائل اعلامية وسياسية وثقافية وتوجيه هذه الامكانيات صوب الهدف الاستراتيجي .

ثالثا : وضع دراسة متكاملة للبرنامج الثقافي والسياسي للحركة الإسلامية .. وتعميق الصلة الجماهيرية بهذا البرنامج .. فالحركة هي الإطار الذي يجمع هذه الطاقات ويوجهها أما المحتوى الايدلوجي لهذا الاطار فهو الإسلام . هذا بالإضافة إلى أن هذه العوامل لن تشكل خطا رئيسيا عاما في وضع استراتيجية شاملة إلا اذا أضفنا لها قواعد أخرى بالتأكيد . والأمر لازال يحتاج إلى الكثير من المساهمة والنقاش .

غالب - ع - الكويت

(٢)
الإسلاميون وقضايا الأمة

طلعنا الأخ أحمد بن بيلا في العدد السابع من «الطليعة الإسلامية» بمقال مسهب عن ذكريات المشاكل التي تنتظر حلها من رجوع مأمول للإسلام إلى مركز الارشاد والقيادة العالمية . ووضع بصفاء رؤية منقطع النظير العلامات الوضاءة في طريق بناء المجتمع الانساني الجديد الذي سيكون باذن الله وان أدرك المسلمون التبعات والمسئوليات الكونية لرسالتهم . مجتمعا إسلاميا شكلا ومضمونا .

وقد اكتشفت من خلال المقال ومن جديد أحمد بن بيلا الذي عرفته منذ عشرين سنة في مقدمة الشباب

المتطور لتشجير جبال الجزائر التي أحرقها نابالم جيش الاحتلال ولدفع الأمية والجهل عن ملايين الجزائريين الذين حرموا التعّلم وسلبوا حتى من إنشاء مدارسهم ... وفي مقدمة كل الأعمال الجليلة الكبرى التي يتطلبّها بناء الجزائر الحديثة . وأحمد الله ان رجع الرّجل من جديد للساحة الإسلامية ، بإيمان أقوى ورؤية أوضح ، باعثا الأمل ، مرشدا وناصحا ومن مركز أقوى مما كان له أيام رئاسته .

ويسعدني اثراء للحوار الذي فتحت له مجلّة الطليعة الإسلامية صفحاتها ، إن أتوقف عند قضية لا يشك أحد في عمق تأثيرها على ماض ومستقبل دار الإسلام والعالم عامة . وهي قضية التنمية والنهضة بالدين الإسلامي وبأهله . ولا نرى فائدة لسرد الأرقام المترجمة لواقع هذا الدين ، فيمكن لمن أراد ذلك ان يرجع للاحصاءات التي تنشرها دوريا الهيئات الدولية . غير أن ما يجب ويجدر الاشارة اليه بخصوص تلك الارقام أنها على الرغم مما توحي به من خوف على ماض العالم الإسلامي ومستقبله ، وما تصدره من ألوان البؤس والشقاء لا تترجم في حقيقة الأمر إلا جزء بسيط وجانبا من الواقع اليومي فالجوع والعطش والمرض والجهل والخصاصه والعراء والظلم الاجتماعي ليست فقد مؤثرات فنية يستدل بها الخبراء على مستوى التخلف والتقدم . إنما هي أيضا وبالخصوص أوضاع معانته يتألم لها عشرات الملايين من أخواننا وتفنى سنويا الملايين من زهرات شبابهم وأطفالهم وتمنع في النهاية مجتمعاتنا الإسلامية من النهضة والنمو الحكيم والتفكير فيما وراء الخبز .

كما أنه من غير الفائدة ان نكرر ما أجمع عليه الخبراء وما تؤكده كل المنظمات الدولية والاقليمية وما بات يعترف به كثير من الحكام ، من ان جميع السياسات الانمائية قد عجزت على مدى الثلاثين سنه الأخيرة على اخراج الدين وأهله من الفقر والتخلف ، بل هي فشلت حتى في الحفاظ على الأوضاع الموروثة عن العهد الاستعماري ، ومن بينها ما كان يتمتع به غالب البلدان الإسلامية من استقلال غذائي .

فعالمنا الإسلامي بات اليوم في مجموعة وباستثناء بلدان قليلة ، مدين في الجزء الأكبر من أقواته للغرب ، ومهدد في أكثر من بلد بالمجاعة . اما سوء التغذية فهي خط السواد الأعظم من سكانه . وسعيد الحظ حقا البلد الذي يغطي إنتاجه الفلاحي نصف حاجاته أو أكثر بقليل .

على أن الأخطر من ذلك كله ان تدهور الأوضاع مستمر ولا شيئ ينبئ بتغير الاتجاه في المستقبل القريب . فكل المؤشرات تدل على العكس ان العجز الغذائي يتفاقم وان رقعة الجوع وما يتبعه من أمراض وأوبئة تتسع .

ومن يتحمل مسئولية كل ذلك؟ سياسات الحكومات قصيرة النظر طبعا . لكن أيضا عوامل دولية متداخلة ومتشابكة وما يمكن الاصطلاح عليه بقواعد اللعبة في النظام الاقتصادي العالمي الحالي . على أننا لسنا بصدد محاكمة أحد ، فالمهام التي تنظرنا لا تترك لنا مجالا لذلك .

على انه لابد من مواصلة للأسباب والعوامل الداخلية التي آلت بنا إلى هذا الوضع وهي مجملة في الآتي :

١- ما أعتقده كثير من السياسيين من أن الصناعة وحدها هي الكفيلة بضمان النمو الاقتصادي والاجتماعي وما ذهبوا اليه من تصريف كل الجهد البشري والمالي إلى هذا القطاع .. والحقيقة ان جملة الفكر الشفوي قد سار في هذا الاتجاه من ثلاثين سنة ولم يبدأ بمراجعة هذه التصورات الا منذ سنوات قليلة .

٢- السياسات الزراعية قصيرة النظر والتي اهتمت بالقطاعات الزراعية الموجهة إنتاجها للتصدير . وأهملت إدخال الاصلاحات الضرورية في القطاعات التقليدية (نظم الملكية والحيازة والمساعدة المالية والفنية) أو هي أفسدت وأساءت لهذه القطاعات من خلال الاصلاحات الزراعية أو الثورات الزرعية ..

٣- تبني المجتمعات الإسلامية . بدا بنتائها المحظوظة وانتهاء بشخصيتها- فكرا وطموحا وعملا .

لأنماط عيش واستهلاك غربية ، تعجز الطاقات الذاتية على الوفاء بحاجياتها.

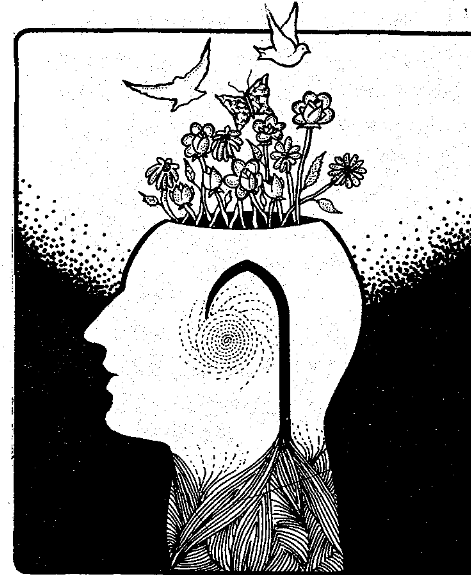
٤- التزايد السكاني مع استمرار وأحيانا تناقص الموارد (كالأراضي الزراعية التي تضيع في البناء والتعمير والطرقات أو بفعل التصحر، أو كالماء واستعمالاته المبذرة في السياحة والصناعة).

وعلى هذا المستوى وبعد هذه المقدمة الطويلة نطرح السؤال الذي هو غاية هذه المساهمة المتواضعة.

كيف يمكن تغيير الاتجاه وتصويبه وقلبه في النهاية بالشكل الذي ينهض بالدين الإسلامي وجماهيره ويضمن الاستقلال الغذائي للعالم الإسلامي ويعطي للنشاط الزراعي امكانيات القيام بدوره في التنمية الشاملة. إن طبيعة وعمق الأسباب التي أودت بنا إلى هذا الحال. ثم ما يميز هذا الوضع الحالي من تعقد وتشابك. تجعل من العسير التفكير في علاج لأية شيئ. ولا يشرف على مراحله المختلفة اجهزة قوية ذات صلاحيات واسعة وإمكانيات كبيرة. وجهاز الدولة هو أقدرها على اصلاح الوضع، إن وعي القائمون عليه طبيعة المشاكل وأنواع العلاج. لكن رأينا أن الدولة قد عجزت إلى حد الآن على ذلك، ولا نحسب أنها قادرة عليه في المستقبل إن بقيت على تركيبتها الحالية. فالأمل الوحيدة في تدارك الوضع هو في وصول المسلمين إلى التمكن من أجهزة الدولة ومراجعة الاختيارات التنموية ورفع المجتمعات وتنظيمها إلى حيث غاياتها ومصالحها الحيوية.

وبد يطول الانتظار وتتفاقم المشاكل ويصبح من العسير على أية حكومة حتى لو كانت إسلامية علاجها وحلها بالسرعة التي تلزم. فالإسلاميون محط الأمال هم الآن مستضعفون ومطاردون في كل أنحاء العالم الإسلامي باستثناء إيران، ومن الصعب الهم نصر من الله، وفي ظل الظروف الحالية التكهن بقرب مسك إحدى جماعاتهم للسلطة في بلدنا.

ومع ذلك ولأجل ذلك أيضا نرى ان للإسلاميين دوار كبيرا في تحريك الريف وتغيير أحواله وملاء الفراغ الناتج عن عجز وإخفاق وفشل التدخلات



الحكومية في الريف.

ولهذا الدور وجوه شتى نجملها فيما يلي:

١) دور تعلّم وتعليم وتعرف على المشاكل والظروف وتحس بها. فالتغيير فوري كان أم بطيئ، يتطلب من القائمين عليه والمشرفين من مخططين ومنفذين تدريبا وتعلما للواقع الميداني وفهما ووعيا بخصائصه. وانه من الأمانة أن نقول ان الإسلاميين عموما أهملوا مواطنا كثيرة للنشاط وقطاعات اجتماعية واسعة وان ليس لهم حضورا يذكر في الريف مثلا (في المجتمعات التي عايشتها على الأقل). وفي كثير من البلدان الإسلامية وفي غياب الجماعات الواعية والنشاطات المحركة وقعت الارياف بين أيدي اليسار أو تقاسمها أحيانا. وهو واضح في أكثر من بلد إسلامي أفريقي، تقاسمها مع حركات التنصير.

٢) دور تدريب وتجويب للحلول البديلة سواء كان ذلك على مستوى التنظيم الاجتماعي للريف من تعاونيات إنتاج وخدمات للنشاط الزراعي والصناعات التقليدية، أو المؤسسات التعليمية المتخصصة، والمؤسسات الصحية والتقنية التي تدمج ضمن المعارف

والعلوم البصرية التراث الهائل الذي يتوارثه سكان الريف وبدأ الآن يتلاشى ويندثر.

أما وسائل القيام بهذا الدور فهي كثيرة وللإسلاميين أحسنها وأكثرها فعالية. وأولى هذه الوسائل الرجال المؤمنون العاملون. واذا كان الإيمان هو شعار كل الإسلاميين فالعلم أيضا متوفر لدى الكثير منهم، وأعني بالعلم هنا، العلم التخصصي في قضايا الريف، في الاجتماع والزراعة بمختلف فروعها. وان من الظواهر الواضحة التي أملت لي ان ألمسها عند كثير من الشباب الإسلاميين أنهم في كثير من الاحيان من خبراء الزراعة والعلوم التقنية ذات الصلة الوثيقة بها. ففي كثير من البلدان نمت الحركات الإسلامية أول ما نمت في كليات الزراعة (وهو ما يستمر بحثا خافيا). غير أن ظروف التشغيل والبطالة منعت الكثير من الشباب من اداء رسالته في مجال تخصصه —وقد حصل لي أكثر من مرة التعرف على مهندسين زراعيين، مجتمعاتهم في أمس الحاجة لخبراتهم يعملون في أثينا أو خدام في فنادق ومقاهي أوروبا. هؤلاء الشباب لابد من استرجاعهم وتمكينهم من خدمة دينهم وأخوانهم حيث يقدرون أن ينفعوا أكثر. ولما كانت الحكومات قد عجزت على ذلك فالأمر منوط بعهدة الجماعات والتنظيمات الإسلامية.

وكذلك الأمر بالنسبة لكثير من الشباب. ممن بقوا في بلدانهم. غير أنهم بدافع الغيرة على الدين والحرص على القيام بدور مباشر في الدعوة الإسلامية، وتوجههوا إلى غير الميادين التي أهلوا لها، ومن نتائج ذلك ما نراه من فراغ وانعدام للعمل الإسلامي أحيانا وفي مواطن كثيرة. في حين أن أنشطة أخرى ومواطن آخرى متخمة بالعاملين. ان واجبنا أن ندرك ان مجالات العمل الإسلامي متعددة وأنها متساوية القيمة. ليس فيها العظيم والحقير وان أفضلها ما يسرنا الله لها. وأن من أول واجباتنا أن نعمل بعلمنا وننفع به من هو محتاج له من أخواننا. ويمكن للجماعات الإسلامية أن تتعاون من أجل انشاء جمعيات دولية وأقليمية.. وغيرها للنهوض بالريف. نعتمد في تمويل مشاريعها على المؤسسات المالية الإسلامية وعلى سلفيات وهبات المحسنين وأهل الخير من الموسعين، إلى الحد الذي يقف فيه المشروع المعني على رجليه. ويستمر على التمويل الذاتي. ومن الممكن جدا وبعد مرحلة أولى يشتد فيها ساعد المشروع أن يتولى أصحابه والمشرفون عليه مساعدة وتمويل مشاريع أخرى... وهكذا تتكون شبكات من المشاريع الإسلامية المتكاملة في إنتاجها وخدماتها والمتساندة ماليا ومعنويا.

ولا يحسبن القارئ الكريم ان هذا ضرب من الخيال. فما ذكرته قائم الذات في أكثر من بلد. والكثير من هذه المشاريع أحدث عميق الأثر ودفع بجماهير الريف إلى فهم أسباب أحوالهم وبدأوا يعون سبل الخروج منها. غير أن أغلبية هذه المشاريع في غير الريف الإسلامي والمشرفون عليها من رجال اليسار والكنيسة.

وجدير بالمسلمين من الشباب العلم ان ينظر إلى حيث يعيش ما بين ٥٠ و٨٠ بالمائة من أخوانهم، في البؤس والفقر والأمية، وان يعطوا لهم شيئا من جهدهم الفكري ويبذلون من أجل مساعدتهم ما يستحقون من عون.

ليس هذا بعزيز على من نذر حياته لله ولخدمة عباده.

والله ولي التوفيق

د. أحمد المناعي
خبير مستشار في التنمية الريفية

أوراق إسلامية

كيفية حمل الدعوة الإسلامية

المرحوم الشيخ تقي الدين النبهاني

لم يتخلف المسلمون عن ركب العالم نتيجة تمسكهم بدينهم، وإنما بدأ تخلفهم يوم تركوا هذا التمسك وتساهلوا فيه، وسمحوا للحضارة الأجنبية أن تدخل ديارهم، وللمفاهيم الغربية أن تحتل أذهانهم، يوم أن تخلوا عن القيادة الفكرية في الإسلام حين تقاعسوا عن دعوته، وأساؤوا تطبيق أحكامه. فلابد أن يستأنفوا حياة إسلامية حتى يتاح لهم النهوض، ولن يستأنفوا هذه الحياة الإسلامية الا اذا حملوا الدعوة الإسلامية، بحمل قيادة الإسلام الفكرية، وأوجدوا بهذه الدعوة دولة إسلامية تحمل القيادة الفكرية بحمل دعوة الإسلام.

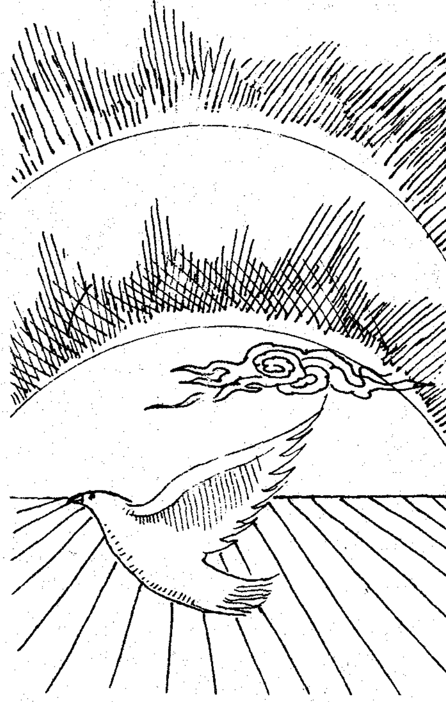
ويجب أن يكون واضحا أن حمل القيادة الفكرية بحمل الدعوة الإسلامية لأنهاض المسلمين، إنما هو لأن الإسلام وحده هو الذي يصلح العالم. ولأن النهضة الحقيقية لا تكون إلا به، سواء المسلمون أو غيرهم. وعلى هذا الأساس يجب أن تحمل دعوة الإسلام.

ويجب أن يحرص على حمل هذه الدعوة قيادة فكرية للعالم تنبثق عنها النظم، وعلى هذه القيادة الفكرية تبني جميع الأفكار، ومن هذه الأفكار تنبثق كافة المفاهيم التي تؤثر في وجهة النظر في الحياة دون استثناء.

وتحمل الدعوة الإسلامية اليوم كما حملت من قبل، ويسار بها اقتداء برسول الله ﷺ دون حيد قيد شعره عن تلك الطريقة في كلياتها وجزئياتها، ودون أن يحسب لأختلاف العصور أي حساب، لأن الذي اختلف هو الوسائل والأشكال، وأما الجوهر والمعنى فهو هو لم يختلف، ولن يختلف، مهما تعاقبت العصور، واختلفت الشعوب والأقطار.

ولذلك فإن حمل الدعوة الإسلامية يقتضي الصراحة والجرأة، والقوة والفكر، وتحدي كل ما يخالف الفكرة والطريقة، ومجابهته لبيان زيفه، بغض النظر عن النتائج، وعن الأوضاع.

ويقتضي حمل الدعوة الإسلامية أن تكون السيادة المطلقة للمبدأ الإسلامي، بغض النظر عما إذا وافق جمهور الشعب أم خالفهم، وتمشي مع عادات الناس أم



ناقضها، وقبل به الناس أم رفضوه وقاوموه. فحامل الدعوة لا يتملق الشعب ولا يداهنه، ولا يداجي من بيدهم الأمور ولا يجاملهم. ولا يعبأ بعادات الناس وتقاليدهم، ولا يحسب لقبول الناس إياه أو رفضهم له أي حساب، بل يتمسك بالمبدأ وحده، ويصرح بالمبدأ وحده، دون أن يدخل في الحساب أي شيئ سوى المبدأ. ولا يقال لأصحاب المبادئ الاخرى تمسكوا بمبدئكم، بل يدعون بلا إكراه إلى المبدأ ليعتنقوه، لأن الدعوة تقتضي أن لا يكون غيره، وأن تكون السيادة له وحده (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

فرسول الله ﷺ جاء إلى العالم برسالته متحديا سافرا مؤمنا بالحق الذي يدعو اليه، يتحدى الدنيا بأكملها، ويعلن الحرب على الأحمر والأسود من الناس، دون ان يحسب أي حساب لعادات أو تقاليد، أو أديان أو عقائد، أو حكام أو سوقة، ولم يلتفت إلى أي شيئ سوى رسالة الإسلام، فقد باداً قريشاً بذكر آلهتم وعابها، وتحداهم في معتقداتهم وسفهها، وهو فرد أعزل، لا عدة معه، ولا معين له، ولا سلاح عنده سوى إيمانه العميق بالإسلام الذي يدعو إليه. ولم يأبه بعادات العرب وتقاليدهم، ولا بأديانهم وعقائدهم، ولم يجاملهم بها، ولم يراعهم في شأنها.

وكذلك يكون حامل الدعوة الإسلامية سافراً متحديا كل شيئ: متحديا العادات والتقاليد والأفكار السقيمة والمفاهيم المغلوطة، متحديا حتى الرأي العام إذا كان خاطئا، ولو تصدى لكفاحه، متحديا العقائد والأديان، ولو تعرض لتعصب أهلها، ونقمة الجامدين على ضلالها.

وحمل الدعوة الإسلامية يقتضي الحرص على تنفيذ أحكام الإسلام تنفيذا كاملا، وعدم التساهل في أي شيئ مهما قل، وحامل الدعوة لا يقبل المهادنة ولا التساهل، ولا يقبل التفريط ولا التأجيل، وإنما يأخذ الأمر كاملا، ويحسمه عاجلا، ولا يقبل في الحق شفيعا، فرسول الله ﷺ لم يقبل من وفد ثقيف أن يدع لهم صنمهم اللات ثلاث سنين

لا يهدمه، وأن يعفيهم من الصلاة على أن يدخلوا في الإسلام، ولم يقبل أن يدع اللات سنتين أو شهرا كما طلبوا، بل أبى ذلك كل الأباء، وكان إباؤه حاسما لا تردد فيه ولا هوادة لإن الأنسان إما ان يؤمن وإما أن لا يؤمن، لأن النتيجة إما الجنة أو النار، ولكنه عليه السلام قبل أن لا يهدموا هم صنمهم اللات، ووكل به أبا سفيان والمغيرة بن شعبة أن يهدماه. ثم لم يقبل إلا العقيدة الكاملة، والتنفيذ الذي تقتضيه، أما الوسيلة والشكل فقد قبلها، لأنهما لا يتصلان بحقيقة هذه العقيدة، ولذلك لابد للدعوة الإسلامية من حرص على بقاء كمال الفكرة، ومن حرص على كمال تنفيذها، دون أي تسامح في الفكرة أو الطريقة، ولا يضيرها أن تستعمل من الوسائل ما تشاء.

وحمل الدعوة الإسلامية يقضي أن يكون كل عمل من أعمالها من أجل غاية معينة، ويقتضي بأن يظل حامل الدعوة دائما يتصور هذه الغاية، ويعمل دائما للوصول اليها، ويدأب دأبا لا راحة فيه لتحقيق الغاية. ولذلك تجده لا يرضي بالفكر دون العمل، ويعتبره فلسفة خيالية مخدرة، ولا يرضى بالفكر والعمل لغير غاية، ويعتبره حركة لولبية تنتهي بالجمود واليأس، بل يصر على اقتران الفكر بالعمل، وعلى جعل الفكر والعمل معا من أجل غاية يحققها عمليا ويبرزها للوجود. فالرسول عليه السلام حمل القيادة الفكرية في مكة، حتى إذا وجد مجتمع مكة لا يحقق جعل الإسلام نظاما للمجتمع يعمل به، هيأ مجتمع المدينة، ثم أوجد الدولة، وطبق الإسلام، وحمل رسالته، وهيأ الأمة لتحمله من بعده، وتسير في الطريق التي رسمها لها. ولذلك لابد أن يكون حمل الدعوة الإسلامية في حال عدم وجود خليفة للمسلمين شاملا الدعوة إلى الإسلام، وإلى استئناف حياة إسلامية بالعمل لايجاد الدولة الإسلامية التي تطبق الإسلام، وتحمل رسالته للعالم، فتنتقل من دعوة لاستئناف حياة إسلامية في الأمة إلى حمل الدولة الدعوة إلى العالم، ومن دعوة محلية في العالم الإسلامي إلى دعوة عالمية.

والدعوة إلى الإسلام لابد أن يبرز فيها تصحيح العقائد، وتقوية الصلة بالله، وأن تبين للناس حل مشاكلهم، حتى تكون هذه الدعوة حية في جميع ميادين الحياة. فالرسول ﷺ كان يتلو على الناس في مكة: «تبت يدا أبي لهب» ويتلو عليهم في نفس الوقت: «إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر، قليلا ما تؤمنون» ويتلو عليهم في مكة: «ويل للمطففين الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» ويتلو عليهم: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك الفوز الكبير» ويتلو عليهم في المدينة: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» كما يتلو عليهم: «انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» ويتلو عليهم: «يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فأكتبوه» ويتلو عليهم: «كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم» ويتلو «لا يستوي



أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون» ولذلك لابد أن تكون الدعوة الإسلامية حاملة للناس الأنظمة التي يعالجون بها مشاكل حياتهم، لأن سر نجاح الدعوة الإسلامية هو كونها حية تعالج الإنسان كله كانسان، وتحدث فيه كله الانقلاب الشامل.

ولا يتأتى لحملة هذه الدعوة أن يضطلعوا بالمسؤولية، ويقوموا بالتبعات، الا إذا غرسوا في نفوسهم النزوع إلى الكمال، وكانوا ينقبون دائما عن الحقيقة، ويقلبون دائما في كل ما عرفوه، حتى ينقوا منه كل ما يعلق به من شيئ غريب عنه، ويبعدوا عنه كل ما يكون من قربه منه احتمال أن يلصق به، حتى تظل الأفكار التي يحملونها نقية صافية، وصفاء الأفكار ونقاؤها هو الضمان الوحيد للنجاح، ولإستمرار النجاح.

ثم على حملة هذه الدعوة أن يؤدوا واجبها كواجب كلفهم به الله، وأن يقبلو عليه متهللين مستبشرين برضا الله، وان لا يبتغوا من عملهم جزاء، ولا ينتظروا من الناس شكرا، وأن لا يعرفوا إلا طلب رضوان الله.

حكاية رجل صرخ : "يا الله"

ـــ الرجاء من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن يقرأ هذا المقال... لعله يعيد النظر بواجباته.

ـــ الرجاء من اتحاد المؤرخين العرب أن يغضّوا الطرف بعد اليوم عن فظاعات محاكم التفتيش!

ـــ والرجاء من السادة المستمعين أن لا يخبروا أطفالهم بحكاية هذا الرجل الذي رأى جنوداً (عرباً مسلمين) يقتلون طفلاً عربياً مسلماً وهم يضحكون... وهذا الطفل السجين كان في سن الثانية عشرة عندما استراح من مباهج العيش في هذا العصر... وكان نائماً في أحد مهاجع الأطفال.

«في سجن تدمر خمسة وأربعون مهجعاً، يتسع كل مهجع لأربعين مواطناً سعيداً ولكنهم يحشرون فيه ما بين المئة والمئتين، من ضمنها ثمانية مهاجع مخصصة لأطفال وطننا السعداء. كما أن حركة التوسع العمراني في بناء المزيد من المهاجع العصرية في سجن تدمر الرهيب قائمة على قدم وساق».

فاتني أن أوكد للقراء الأعزاء بأن كل معلومة ترد في هذا المقال إنما هي معلومة صحيحة وأكيدة ومنقولة بأمانة عن واقع أبشع منها وأشد هولاً بكثير.

وإنني أتحمل مسؤولية صحة كل واقعة غير إنسانية ترد في هذا المقال... وأطالب المؤسسات والمنظمات العربية والدولية التي تدّعي أنها إنسانية أو إسلامية أن تحقق بهذه المواضيع التي... وإنني أتهم الصحف والمجلات العربية التي تخصص صفحات دورية «للتراث المجيد وللتعريف بمحاسن الدين الإسلامي الحنيف» أتهمها بالكذب والتدجيل والنفاق والتفاهة والتواطؤ مع المجرمين الذين يذبحون أطفالنا لأنهم أطفال يؤدون الصلاة لله تعالى.

فهذا الطفل الذي كان «ذلك الرجل» أحد شهود عملية قتله، كانت تهمته أنه أفاق أثناء الليل خلسة، فصلّى ركعتين لله تعالى... وصلاّهما واقفاً. مع أن الصلاة ممنوعة وعقوبتها الإعدام... هذا لمن يصلّي قاعداً... أو مستقلياً... أو مغمضاً أو رامشاً بعينيه... فما بالك بمن يتحدى الأوامر ويصلّي واقفاً ويركع ويسجد حسب الأصول؟!

وبما أن السجن مجهز بأحدث أجهزة الرصد التكنولوجية... (كيف زعم موشي دايان بأننا لا نتعامل مع التكنولوجيا) فقد جوبه ذلك الطفل بشريط فيديو يعرض تسجيلاً كاملاً لعملية الارتكاب الفظيعة.

وقال له «المحقق العادل»: أهذ الذي أنت تصلّي أم غيرك؟ (من قال إننا نعدم الأطفال بلا محاكمة؟).

وكان هذا الطفل العربي المسلم قد بلغ حالة من الإعياء بعد التعذيب الوحشي الرهيب يعجز معها عن أن يستطيع الكلام، وكان المساجين الذين جيئ بهم ليتفرّجوا عليه أعجز عن من أن ينطق أيّ منهم بكلمة أيضاً... حتى عندما جيئ بالبُدّ، والبُدّ صنع سقوف المنازل في أرياف وطننا السعيد.

ماذا فعلوا بالبُدّ؟

كان الطفل العربي المسلم متمدداً على الأرض، شبه فاقد الوعي، وسط رفاقه المساجين الأطفال والكبار، فوضع الجنود «أبطال التحرير» هذا البدّ على عنقه وداسوا عليه فتحطمن فقرات رقبته ولفظ أنفاسه الأخيرة، آنذاك لم يملك ذلك الرجل الذي أخبركم بحكايته إلا أن يصرخ مستغيثاً بلا وعي: يا الله.

فالتفت الجميع إلى ذلك الرجل، مساجين وسجانين وصرخ «المحقق العادل» بوجهه غاضباً:

أما زلت تذكر اسم الله يا أبن الـ...؟ خذوه.

وكلمة «خذوه» تعني: قُضيَ الأمر وانتهى كل شيئ... إعدام.

والواقع أنهم لم يأخذوا ذلك الرجل وإنما كفتهم طلقة مسدس في رأسه... هكذا بمنتهى اللامبالاة وبكل برودة أعصاب... ثم قيل لرفاقه المساجين: احموا هاتين الجيفتين.

إني أكتب هذه الوقائع وأنا أبكي...

وإني أضع جثة هذا الطفل العربي وجثة هذا الرجل العربي أمام عيون كل العرب الذين يدعمون نظام أسد تحت أي مظلة أو عباءة... وأضعها لوحة «فنية» في غرف طعامهم وباراتهم، وفوق مكاتبهم وفي صالونات استقبالهم لأكبر مجرم في هذا العصر... حافظ أسد.

ملاحظة:

الرجل الآخر الذي روى لي هذه الوقائع المخزية اعترض على ما كتبته في وصف عملية إعدام الطفل وأوضح مايلي:

● عندما وضعوا البدّ الضخم على عنق الطفل داس على كل طرف منه مجرم، وراحا يتأرجحان مقلّدين لعبة (طالعة يا نازلة) المعروفة في حدائق الألعاب عند الأمم الأخرى السعيدة، وظل المجرمان يتأرجحان إلى أن تم موت الطفل خنقاً أمام إخوانه جميعا وأنا واحد منهم.

«عن النذير»

سلامة موسى والمدنية الاوربية

عيسى نصراوي

سئل سلامة موسى(١) : «هل ينبغي لأهل الاقطار العربية اقتباس عناصر المدنية الغربية وبأي قدر وعند أي حد يجب ان يقف هذ الاقتباس ...؟»

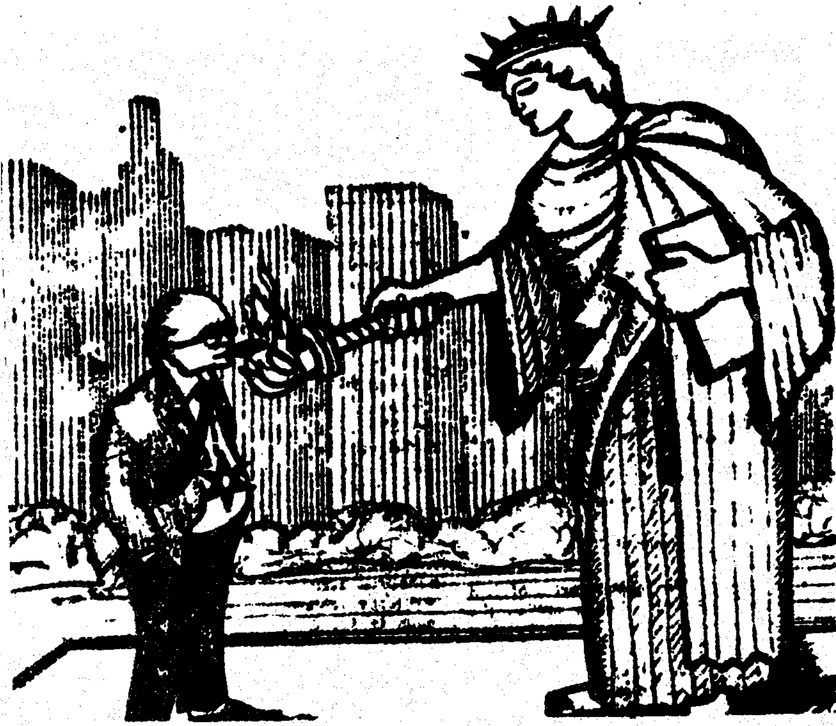
وجاء جوابه : «علة الاقطار العربية ورأس بلواها اننا ما زلنا نعتقد ان هناك مدنية غير المدنية الاوروبية ، فلا نتقبل مبادئ البرلمانية والديمقراطية والاشتراكية ، وهذه المبادئ لم تعرفها آسيا أم الاستبداد الاتوقراطي في الحكومة والدين والادب والعلم ، مع انها لب النجاح القومي» .

«وليس هناك حد يجب ان نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الاوروبية . والحقيقة كما قلت ان في العالم العربي الآن صراعا بين المبادئ الآسيوية التي ينصرها ويذود عنها رجال الدين ، والمبادئ الاوروبية التي يدين بها ويعمل على نشرها طبقة صغيرة عددا ، ولكنها كبيرة حرمة وجاها باعتبار ان في يدها مقاليد الاحكام . فهذه الطبقة تستطيع ان تحضر العالم العربي بسن القوانين كأن تعاقب مثلا المرأة المتحجبة كما عاقبت حكومة الصين الرجال الذين يرخون ذؤابات على رؤوسهم ، ولا قبل لنا بانتظار التطور الاجتماعي لأن العالم يثب نحو الامام .

وواجب كتاب الصحف والمجلات ان يؤسسوا نوعا من الرقابة النيرة لمنع الرجعيين ذوي الثقافة الاسيوية من نشر ارائهم في صحفهم أو طبعها للجمهور فلا ينبغي مثلا لصاحب المجلة أو الجريدة ان ينشر دفاعا عن الحجاب أو ما شابه ذلك» .

لو قيل لأهل الحداثة الغربية هذه هي آراؤكم لقالوا هذا تجن وافتراء ولكن سلامة موسى وهو من ائمة أهل الحداثة ومن السابقين ، قطع الشك باليقين . ووضع النقاط على الحروف . ولعل من الصواب القول ان ما من نص يمكن ان يمثل جوهر فكر الحداثة المتفرنجة كما يمثله هذا النص الصريح الواضح . مما يفسر لماذا يتهافت المتغربون على اعادة نشر كتب سلامة موسى واحاطتها بهالة من التمجيد والاكبار .

والغريب ، الذي هو ليس بغريب ، ان الذين يأخذون على سلامة موسى اشتراكيته الفابية(٢) ، مفضلين عليها ما يسمونه بالاشتراكية العلمية ، لا يرون فيه نقيضا حقيقيا وانما يرون فيه أحد الآباء



الروحيين للفكر «العلمي» ، و«الاشتراكي» ، و«التقدمي» . فأمام موقفه الحازم ضد الاسلام والتراث يغفرون له فابيته . وأمام موقفه الحازم ضد الاسلام والتراث يغفرون له فرعونيته . ولا يغفلون ذلك إلا لأن ما عبر عنه سلامة موسى في الصراع الحضاري يشكل جوهر موقفهم ، أما ما عدا ذلك فيدخل في التفاصيل وفي الخلاف ضمن العائلة الواحدة .

هل هي مدنية واحدة؟

جاءت اجابة سلامة موسى المذكورة أعلاه في أوائل العشرينيات من هذا القرن . أي في الوقت الذي لم تكن قد جفت فيه بعد دماء شهداء العرب والمسلمين المسفوكة على يد الاستعماريين الغربيين أو على يد المدنية الاوروبية .

ومع ذلك يعتبر سلامة موسى ان «علة الاقطار العربية ورأس بلواها اننا ما زلنا نعتقد ان هناك مدنية غير المدنية الاوروبية» ...

لنلاحظ ، ليست علة الاقطار العربية ورأس بلواها الاستعمار الغربي الذي اجتاح الاقطار العربية وجزأها وفرض عليها معاهدات الانتداب والوصاية وأطلق العنان للهجرة الصهيونية لتغتصب فلسطين ، وانما العلة ورأس البلوى اننا

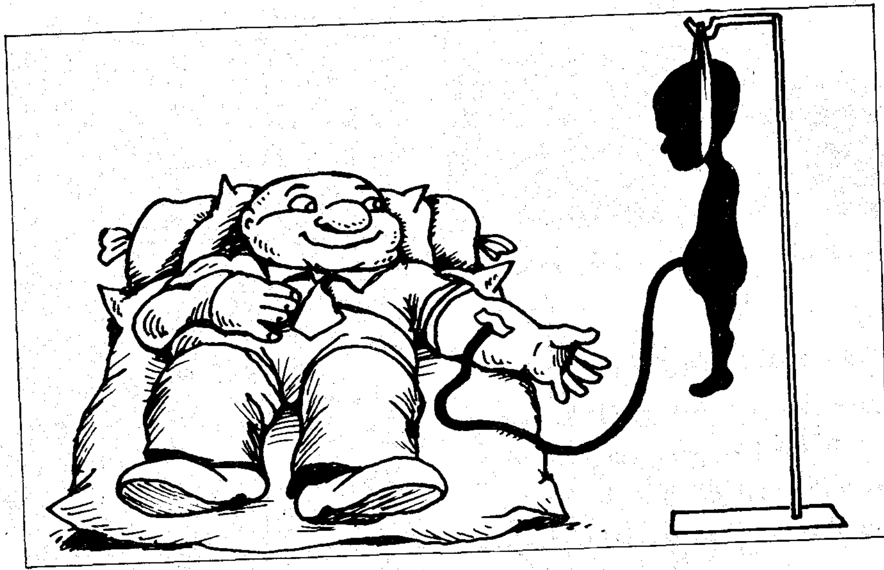
مازلنا نعتقد بأن هنالك مدنية غير المدنية الاوروبية. أي مازلنا نعتقد بوجود حضارة أخرى، هي الحضارة العربية—الاسلامية. بينما لا يوجد هناك «غير المدنية الاوروبية».

تكشف هذه النظرة، بلا مواربة، عن قرار حاسم بعدم السماح بمجرد طرح احتمال وجود مدنية أخرى غير المدنية الاوروبية. وهذا يعني من جهة الاعدام الكامل لكل ذلك التراث الحضاري الاسلامي: عقيدة وايديولوجية ونظاما اقتصاديا واجتماعيا ونهج حياة. مما يجعلنا قبل اجتياح «المدنية الاوروبية» لبلادنا نعيش خارج المدنية. فما دامت هنالك مدنية واحدة فقط هي المدنية الاوروبية فعندئذ يصبح العالم كله خارج التاريخ المدني للانسانية. وهكذا بجرة قلم تمحى مدنية الاسلام وتمحى مدنيات الصين والهند وافريقيا وامريكا الهندية. ولا يبقى غير مدنية الرجل الابيض الاوروبي.

يجب ان نلاحظ هنا ان هذا الرأي ليس بدعة ابتدعها سلامة موسى، وليس سقطة لسان انما هو الرأي الحقيقي للفكر الاوروبي عموما. هذا الفكر الذي اعتبر اوروبا مركز العالم، واعتبر تاريخها هو تاريخ الجنس البشري، ونظر الى نموذجها باعتباره النمط الأمثل، أو وحدة القياس، أو الاصل والجوهر، الامر الذي يفرض الاستنتاج ان العالم كله محيط لأوربة، وان التاريخ البشري غير الاوروبي خارج التاريخ، أو على هامش التاريخ. وان النماذج المجتمعية غير الاوروبية هي شبه نماذج (شبه عبودية، شبه اقطاعية، شبه رأسمالية.. الخ). ثم لماذا يذهب الانسان بعيدا أو لم يفكر ماركس نفسه بهذه الطريقة عندما اعتبر الصين ستدخل التاريخ بعد ان غزاها البرتغاليون، أو عندما قال «ليس للهند تاريخ»، أو عندما تحدث عن «مجتمعات ما قبل الرأسمالية» — الرأسمالية الاوروبية هي وحدة القياس في التطور!

عندما يجزم الفكر المتفرنج ان هنالك مدنية واحدة فقط هي المدنية الأوروبية لا يفعل ذلك عن جهل، أو عن سوء تقدير، وانما يعرف بالضبط ماذا يريد؟ وماذا يعني هذا الكلام؟ لأنه اذا أقر، أو اعترف بالحضارات الأخرى، أو المدنيات الأخرى، فسوف يضطر الى الاعتراف بسياق تطور مستقل عن النمط الاوروبي وسوف يعترف بقيم غير القيم الاوروبية.

ومن ثم سيجد نفسه في حرب حضارية يقف الشعب فيها في جهة ويقف مستعمروه وجلادوه في الجهة الأخرى. ولذلك فهو حين يقطع بعدم وجود حضارة غير الحضارة الاوروبية، ومن ثم عدم وجود فلسفة غير الفلسفة الاوروبية والفكر الاوروبي، والأنظمة الاوروبية، وعدم وجود قيم غير القيم الاوروبية، والمعايير والمفاهيم والمقاييس الاوروبية، انما ينفي الخصم ويدمره تدميرا. وذلك حين يجرده تجريدا كاملا من عقيدته وفكره وحضارته وتاريخه وأنماط حياته وقيمه ومعاييره. ويصبح لزاما عليه ان ينخرط في مدنية اسياده في كل المجالات والجوانب الامر



الذي يعني تجريده من كل أسلحة المقاومة واعطاؤه سيوفا خشبية لكي يحارب بها. وهذا ما يعنيه سلامة موسى حين يقول: «وليس هناك حد يجب ان نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الاوروبية».

لب النجاح القومي:

اما المبادئ التي تشكل لب النجاح القومي وفق تعبير سلامة موسى فهي: تقبل «مبادئ البرلمانية والديمقراطية والاشتراكية، وهذه مبادئ لم تعرفها آسيا أم الاستبداد الاوتوقراطي في الحكومة والدين والأدب والعلم».

مرة اخرى اعدام الانماط الاجتماعية التي عرفتها آسيا ووصفها بالاستبداد الاوتوقراطي، بينما يبقى النمط الاوروبي الذي يحمل مبادئ البرلمانية والديمقراطية والاشتراكية.

اولاً، هل من الصحيح أو من الامانة ان تختزل المبادئ التي عرفتها آسيا بكلمتين «الاستبداد الاوتوقراطي»، أو «الركود الشرقي» وفق التعبير الماركسي.

لو أخذنا النموذج الاسلامي، وهو المعنى هنا «بالاستبداد الاوتوقراطي»، فهل ينطبق عليه هذا الوصف، أم يظهر التحامل في أبشع صوره، ويظهر التجني في أجلى أشكاله؟. هل يختزل الاسلام بعبارة «الاستبداد الشرقي» أو «الاستبداد الاوتوقراطي»، وهو الداعي الى الشورى والى حفظ كرامة الانسان وحقوقه، والى المساواة بين الناس والى العدل، والى التمسك بمكارم الاخلاق، بل الى اسمى ما عرف العالم من مبادئ وقيم.

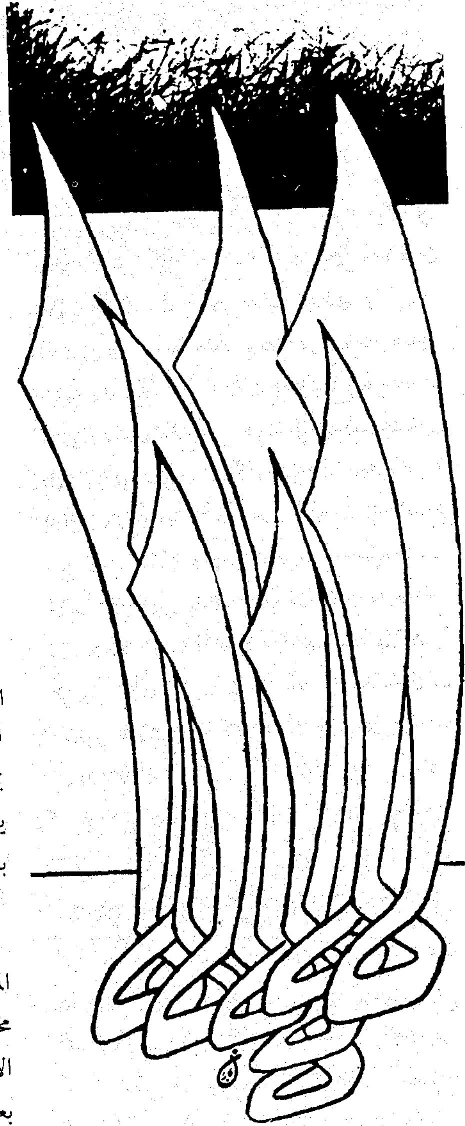
ثم بأي حق يوصف النموذج الأوروبي بالبرلمانية والديمقراطية والاشتراكية وهو الذي اباد الملايين من الهنود الحمر وشعوب افريقيا وآسيا . وهو الذي مارس استعباد الشعوب حتى يومنا هذا .. وهو الذي افتى بالاستبداد ونهب الشعوب والقتل الجماعي . أما اذا كان الاسياد في اثينا قد اقاموا فيما بينهم نظاما برلمانيا أو مجلس شيوخ بينما داسوا في اللحظة نفسها جماهير العبيد والشعوب الاخرى ، فهذا لا يسمح بالتحدث عن البرلمانية والديمقراطية . واذا اقامت اوروبا انظمة خاصة بها من اجل خدمة استعباد الشعوب الاخرى والسيطرة على العالم فهذا لا يجعل سمتها الديمقراطية أو البرلمانية أو الاشتراكية . ان السمة التي تنطبق على أي بلد هي تلك التي لا تفصل بين ما يفعله في بيته وخارج بيته ، بل ان معيار ما يفعله خارج بيته هو المعيار الأصح في الحكم على حقيقة نظام معين . فإذا كان من الخطأ ان نتحدث عن اخلاق لص أو قاتل بمقياس علاقته بزوجته واطفاله فنصفه بالرقة حين يبكي اذا فقد زوجته أو طفله ، أو نصفه بالمضحي حين يخرج اللقمة من فمه ليطعم طفله ، أو والدته ، وانما نحكم على أخلاق اللص والقاتل من خلال علاقته خارج بيته . كذلك من الخطأ ان نحكم على نظام من الانظمة أو مبدأ من المبادئ بما يفعل داخل داره ، وانما بما يفعل بالشعوب الأخرى .

أما من الجهة الاخرى ، فإن التاريخ الاسلامي شهد حالات استبداد وخروج على الاسلام . ولكن ذلك كان باستمرار مدانا من الاسلام ، ومواجها بالمجاهدين الذين كانوا لا يجعلون عيون المستبدين تنام . ولهذا ما كان للاستبداد ان يصبح شرعيا كما هو الحال في التاريخ الاوروبي والنموذج الاوروبي . لأن الاسلام يقول بالعدل ولا يرضى بالاستبداد ولا يجيز للحاكم ان يضع تشريعا من عنده ، فكيف حين يكون الحاكم مستبدا مخالفا للشرع الاسلامي .

ان كل هذه الحقائق يطمسها الاستاذ سلامة موسى جريا على نهج المستشرقين ، وعلى ما ورد في ادبيات الاوروبيين وهم يستعدون لاكتساح آسيا ، بعد ان اغرقوا افريقيا وامريكا بدماء السود والهنود الحمر . وهذا يفسر ان الحملة على ما يسمى الاستبداد الشرقي والحديث عن الحضارة الاوروبية ماهما إلا المقدمات التبريرية لعملية الاجتياح الاوروبي لبلدان آسيا ، خصوصا ، الاقطار الاسلامية . كما انهما الشرط لكي يستمر هذا الاجتياح عن طريق نزع أسلحة المقاومة الحقيقية من أيدي الشعب وتحميله سيوفا خشبية اسمها المدنية الاوروبية لكي يحارب بها الجيوش الاوروبية التي تحتل بلاده بالنار والحديد . وهكذا يكون ما يسميه سلامة موسى بلب النجاح القومي هو لب السقوط والانهيار القومي .

الطبقة الصغيرة حاملة المبادئ الاوروبية :

ويواصل الاستاذ سلامة موسى في الفقرة الثانية من اجابته حملته فيعتبر الصراع متمحورا



بين (المبادئ الاسيوية) التي يذود عنها رجال الدين ويقصد الاسلام ، وبين المبادئ الاوروبية

التي يدين بها «طبقة صغيرة عددا ولكنها كبيرة حرمة وجاها باعتبار ان في يدها مقاليد الاحكام» . وهكذا يعين ، بوضوح تام ، دور ذلك القطاع المتغرب من المجتمع وهو دور نشر المدنية الاوروبية والقيام بعملية الاقتباس من الحضارة الاوروبية بلا حدود . فهذه الطبقة صغيرة عددا ، طبعا ، لأنها ليست جماهير الشعب . وهي تمتلك حرمة وجاها لأن بيدها ، طبعا ، مقاليد الاحكام . واذا تذكرنا ان هذا الكلام يقال في اوائل العشرينات ، أي بعد الحرب العالمية الاولى أي في عز السيطرة الاستعمارية المباشرة على الاقطار العربية ، تبين كل أبعاد الموقف حتى من الناحية السياسية . أو بكلمات اخرى ان الصراع الحضاري المذكور هو الصراع السياسي نفسه الدائر بين الاستعماريين الاوروبيين الذين احتلوا الاقطار العربية وبين الشعب ، وإلا فكيف يمكن لتلك الطبقة الصغيرة العدد ان تكون ذات جاه وحرمة وكيف يمكن ان تمتلك الاحكام بينما جنود الاحتلال يدنسون الأرض العربية والاسلامية ويحتلون بلادها ويقتسمونها فيما بينهم .

وبالفعل ان الحداثة المتفرنجة سيطرت على المدرسة والجامعة وفي الصحافة ودور النشر وفي مختلف أجهزة الاعلام نتيجة سيطرة قوات الاحتلال . ولا يغير من هذا الواقع شيئا كون بعض أهل الحداثة تعارضوا مع الاحتلال العسكري والسياسي ، ولم يتعارضوا مع الاحتلال الحضاري والثقافي الاوروبي لبلادهم .

قد يغسل بعض اصحاب الحداثة الاوروبية ايديهم من أية علاقة بمن في يدهم مقاليد الاحكام في ذلك الوقت . ولكن سلامة موسى لا يفعل ذلك بل يطالب تلك الطبقة ان تسن القوانين التي تعاقب المرأة المتحجبة كما عاقبت حكومة الصين المتغربة الرجال الذين يرخون الذؤابات على رؤوسهم . فالمسألة لا تحتاج الى انتظار وانما يجب ان تفرض بالقوة ومن خلال سن القوانين تحت حجة ان العالم يثب الى الامام . وهذا يؤدي الى ان نثب الى الامام .

المسألة التي يمكن ملاحظتها هنا هي أبعد من آراء اهل الحداثة الغربية في الركض وراء الحضارة الاوروبية واقتباسها ، وهي كشف الطبيعة الاستبدادية (الفاشية حسب تعبيرهم) التي يحملونها في مواجهة الشعب . وهذا ما يمكن ان نقرأه ، بوضوح ، في مطالبة سلامة موسى بسن القوانين لفرض المدنية الاوروبية فرضا ، ثم في ندائه الى اصحاب الصحف والمجلات ان يقوموا بأنفسهم بمنع نشر مقالات تدافع عن الحجاب وما شابه . أي المطلوب ان يقمع كل ما هو لا أوروبي ، أي يقمع فكر الشعب ، ونمط حياته ، ويحرم على مثقفيه ، الاسلاميين خصوصا ، حق الكتابة والدفاع عما يحملون من اراء وأفكار .

وهكذا تتبخر تلك المبادئ التي بشر بها السيد سلامة موسى الخاصة بالبرلمانية والديمقراطية ليحل محلها جوهرها الحقيقي وهو قمع الاسلام ، وسن القوانين ضد الشعب ، وحرمان المثقفين الاسلاميين من كتابة المقالات بالصحف والمجلات . ولهذا حين يقال ان الطبيعة الحقيقية للفكر المتفرنج هي القمع والاستبداد والفاشية لا يُتجنى على الحقيقة او الواقع . فسلامة موسى يقول بهذا جهارا نهارا ، وبكلام مكتوب أبيض على أسود ، علما انه ليس من الوزراء ولا من القضاة وانما ممن ينظر اليهم البعض بالمثقفين الليبراليين المدافعين عن الديمقراطية والحرية . ولاشك في ان لسلامة موسى ، كما لطه حسين وغيره ، صولات وجولات في الدفاع عن حرية الرأي . ولكنه دفاع عن حرية الرأي المتغرب حين يقمعه رأي متغرب . ولكنه ليس دفاعا عن حرية الرأي عموما بما يشمل حق الشعب في الدفاع عن قيمه وافكاره ومعتقداته ، أو حق المثقف الاسلامي حين يدافع عن الاسلام والحضارة الاسلامية . فهذا لا تشمله الديمقراطية ولا حرية الرأي ، وانما يجب ان يقع تحت طائلة العقاب القانوني ويحرم من الكتابة أو التعبير . فهل في هذا الموقف تناقض ؟

في الحقيقة ان الفكر المتغرب منطقي مع نفسه حين يتغنى بمبادئ اوروبة حول الحرية والديمقراطية والبرلمانية وو..الخ . وحين يقمع في الوقت نفسه الشعب ومثقفيه . فهذان موقفان متممان لبعضهما . فالتغرب يعني التناقض مع الشعب ومع دينه وحضارته وتاريخه وتراثه . ومن ثم لا يمكن ان يعالج هذا التناقض بالصراع الديمقراطي ، لأن للشعب الغلبة فهو الاكثرية ، وهو الاقوى . بينما اهل المدنية الاوروبية هم طبقة صغيرة عددا . ولا تستطيع ان تنازل الاكثرية

بالديمقراطية . هذا ناهيك عن هشاشة الفكر المتفرنج والمدنية الاوروبية اذا ما تقابلا بالفكر الاسلامي والمدنية العربية الاسلامية .

اما العامل الآخر المكوّن للطبيعة القمعية لحاملي المدنية الاوروبية في علاقتهم بالاسلام وبالشعب ، فيأتي من الدور الاوروبي الاساسي في العالم ألاَ وهو العنف مع الخارج ، والسيطرة على الشعوب ، ونهب ثروات العالم . الامر الذي يتطلب قمع كل ما هو مناقض لهذا الدور ، أو هو استقلالي ، كما هو الحال بالنسبة الى الاسلام أو للنمط المجتمعي العربي الاسلامي الذي ساد البلاد قبل الاجتياح الاوروبي . ومن هنا يصبح ما حملته أوروبا من «مدنية» الى الاقطار العربية والاسلامية ، بل لكل آسيا وافريقيا وامريكا الهنود الحمر يشكل جزءا من ذلك الدور ، وينبغي له ان يكون في خدمته . وهذا ما يجعل اولئك الذين يدينون ، وفق تعبير الاستاذ سلامة موسى ، بالمبادئ الاوروبية مضطرين الى ان يحملوا مع تلك المبادئ طبيعتها القمعية ضد مبادئ الاسلام وأهل الاسلام . وذلك على الرغم من كل حبهم للديمقراطية والبرلمانية ودفاعهم عن حرية الرأي . بل على الرغم من الكره الذي يحمله بعضهم للاوروبيين المستعمرين وتطلعهم الى الاستقلال . لأن الموقف الفعلي من مسألة الحرية ، أو الاستقلال ، أو الديمقراطية ، أو حق ابداء الرأي واختيار نظام الحكم ، يستند الى العلاقة بالاكثرية (الشعب) وما تحمله الاكثرية من عقيدة وقيم ومفاهيم ومعايير وما تريده لنفسها من نظاماقتصادي واجتماعي ، وما تعتمده نهج حياة .. فإذاكان المرء ضد ذلك فلا مفر له من ان يقمع ويتخلى جزئيا أو كليا عن شعارات تقضي بممارسة الشعب للحرية ، والديمقراطية ، وحق ابداء الرأي واختيار نظام الحكم . ثم عندما يمارس هذا القمع ويحتدم الصراع يبدأ التطلع الى الاستقلال بالتزعزع لأن الاستعانة بالخارج تصبح ضرورية .

وهكذا يكون النص الذي قدمه سلامه موسى قد وضع النقاط على الحروف بالنسبة الى جوهر الصراع الذي تخوضه (المدنية الاوروبية» ضد الاسلام والشعب والمدنية العربية الاسلامية ، الأمر الذي يجعل الخيار بين الطريقين واضحا . ليعرف كل أين يقف؟

عن «الوحدة»

---

(١) ورد نص السؤال والجواب في كتاب «فتاوى كبار الكتاب والأدباء» عام ١٩٢٣ ، واعادت نقله جريدة السفير في ١٩٨٠/٨/٢٧ .

(٢) الفابية احدى اتجاهات الاشتراكية الاصلاحية التي تؤمن بالانتقال التدريجي من الرأسمالية الى الاشتراكية دون اللجوء الى العنف .

التاريخ لماذا..؟

د. عز الدين ابراهيم

كان التاريخ ولايزال قضية الانسان منذ الازل يؤثر فيه ويصنعه ضمن الظروف الموضوعية التي تمر بها مراحل التاريخ البشري... ضمن النواميس الكونية التي وضعها الله سبحانه..

وعندما تتعرض أمة ما لهزة عنيفة في حياتها فإنها اما ان تهب من نومها لتنظر في تاريخها تبحث من جديد شروط وجودها.. أو انها تهب من نومها لتنظر الى هذا التاريخ شزرا تتهمه ثم تعود الى سباتها العميق.

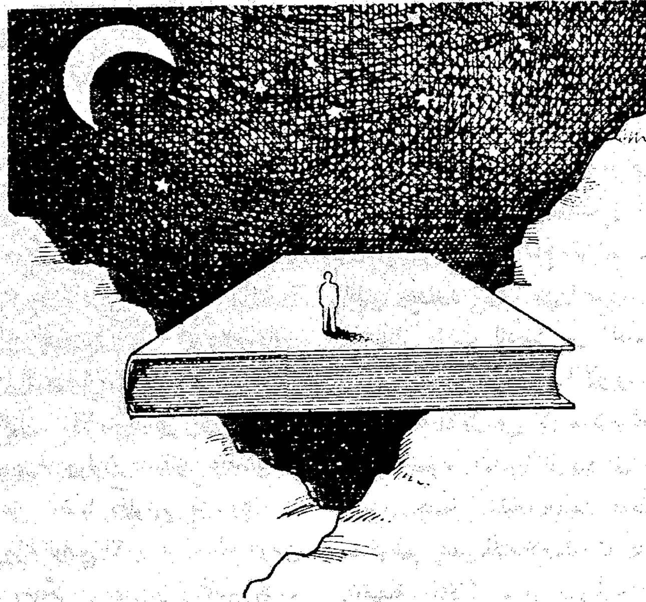
وهكذا ايضا.. عندما تشتعل أمة أو جماعة فإنها تتنبه بداية الى تاريخها، فتتقدم تدرس وتحلل وتنقد... تعيد الترتيب والصياغة لتتعرف على مواقفها الحالية، ثم لتنطلق الى افاق المستقبل بينما في الجانب الآخر —أي في حالة العجز والضياع— تنام الجماعات عن تاريخها، بل وتقف منه موقفا سلبيا ومتهما... من هنا ندرك نحن الأبناء الحقيقيون— اهمية وعي التاريخ وانه المفتاح الذي بين ايدينا كي نفهم ماضينا ونعي دروسه وتجاربه وعبره وبالتالي نؤثر في حاضرنا ولا نكتفي بالجلوس في مقاعد المتفرجين...

هذا الفهم وهذا التأثير كلاهما سيقودنا بالتالي الى امتلاك المستقبل.. ولقد عانينا كثيرا منذ غاب وعينا التاريخي ففقدنا حسًّا بهويتنا واصالتنا ووقفنا عاجزين عن تحديد مواقع اقدامنا ناهيك عن امكانية استشراف المستقبل...

وكما عاش الوطن الاسلامي بعمومه هذا الغياب فإن الكثير من الحركات الاسلامية لم تفلت من هذا الشراك ولأن كنا حتى وقت قريب نعتقد ان تلك الحركات قد ادركت الشرط الذاتي لوجودها، وانها لم تدرك بعد الشرط الموضوعي.. فقد كنا نرتكب مغالطة كبيرة لسببين...

١— كيف يمكن ان يقال عن انسان غاب وعيه التاريخي انه اكتشف ذاته أو اكتشف الشرط الذاتي لوجوده.

٢— ان هذا التصور جهل بالعلاقة الجدلية القائمة بين وعي الذات ووعي الموضوع، وهكذا فإنه بالرغم من غلالة الثقة التي تغلف تصرفات الكثير من التنظيمات — داخل صفوف الحركة الاسلامية اليوم فإننا نجد هذه التنظيمات — وتحت الدراسة الموضوعية — تعيش في حالة اغتراب وضعت افرادها في دوامة انهيار القيم وفوضى المفاهيم ومن ثم اليأس في احيان



كثيرة...

ومن هنا كان اهتمامنا بالتاريخ ليس كمفردات للتسلية والمتعة والانبهار امام سيرة السلف الصالح، ولكن كأستمرار يخضع للدراسة والتحليل والنقد من خلال منهج خاص ورؤية خاصة اي من خلال صبغة خاصة ارتضاها لنا الله سبحانه وتعالى (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة)...

رغم ان الحركة الاسلامية —في مفهومها الحديث— لم تتبلور وبشكل واضح إلا بعد ان حدث التماس الخطير بين الحملة الصليبية التي قادها ذلك الشاب الكورسيكي المغامر نابليون بونابرت وبين الوطن الاسلامي إلا اننا لا نستطيع ان نغفل دور الحركة الوهابية كبادرة أولى ناضلت على طريق العودة الى نقاء السلف الصالح فكانت أول حركة جادة بعد مرور قرون على ظهور المجدد العظيم ابن تيمية...

ولأننا ننظر للحملة الصليبية التي قادها نابليون كنقطة البداية في أخطر التحديات التي واجهها الوطن الاسلامي منذ ظهوره فإننا سنبدأ من هنا تأريخا للحركة الاسلامية دون اغفال الوهابية كحركة رائدة..

رغم الشهداء الذين قدمتهم الجماهير الاسلامية مؤكدة اصالتها في مواجهة طلائع الغزو الصليبي الاولى قبل ان تتمكن تلك الطلائع من الاستقرار في مصر كجزء هام من الوطن الاسلامي، إلا ان الصدمة كانت قاسية ونحن نكتشف أي عزلة وجمود وعجز عن الاجتهاد

والتجديد كنا نعيش.. الامر الذي مكن لتلك الطلائع والاجيال الغزو التي تلتها ان تفعل فعلتها فتسقط النظام السياسي الاسلامي.. تسقط تطبيقنا لشريعتنا بعد ان نفذت الى عيوننا ومسام جلودنا عبر البعثات التي اوفدت الى باريس واوروبا ثم عادت لتدمر اخلاقنا وثقافتنا وليحمل بعضها —ربما بحسن نية في البداية— الرؤية الغربية للحياة والتحديث، هذه البعثات التي استمر تتابعها في افواج، الى ان تمكن هذا التحدي.. الغزو.. الاستعمار من تكوين جيل من المفكرين يحملون اسمائنا وافكاره.. اجسادهم على ارضنا وقلوبهم مشدودة الى هناك.. وما هذا الطفح القذر على سطح الوطن الاسلامي من مفكرين مهزومين وكتّاب كلاب وقردة إلا استمرار آخر لهذا التتابع وهكذا ما ان اخذت الامور امامنا تتضح شيئا فشيئا حتى وجدنا انفسنا إزاء خمسة اوضاع أو خمسة فئات كانت افرازاً للتحدي أو رداً عليه بشكل أو بآخر..

١— المسلمون التقليديون: الذين غابوا عن الوجود والشهود تماما وعاشوا في حالة اغتراب تام عن الذات والموضوع ومن سمع منهم بالتحدى القادم أحس من بعيد انه شر محض، وبقي الدعاء على المنابر لسلاطين رحلوا منذ قرون والحديث عن الوقاع في الجنة ميزة هامة لهذه الفئة...

٢— المسلمون السلفيون المحافظون: كالوهابية والمهدية والسنوسية وستتكلم عنهم بإسهاب بعد قليل...

٣— السلمون السلفيون المتنورون: بقيادة جمال الدين الافغاني وسيأتي الحديث عنهم ايضاً...

٤— المجموعة الرابعة وهو ما اصطلح بعض الكتاب على تسميتهم (بالمسلمين العلمانيين)...

ونعتذر عن استخدام هذا المصطلح للتناقض الذي يحمله، حيث من الضروري استخدامه وبشكل مؤقت للتمييز بين المجموعتين الثالثة والخامسة.. ولكي نكون اكثر وضوحا نقول: ان الكلمة الاولى من الاصطلاح تعني ان افراد هذه المجموعة انتسبوا تاريخيا الى الاسلام بينما تعني الكلمة الثانية حقيقة موقفهم وجوهر تفكيرهم رفض للاسلام كبعث حقيقي وكسلطة حقيقية، والاقتراب من الرؤية الغربية في فصل الدين عن الدولة. وطلائع هذه المجموعة وان كانت قد وقفت موقفا مشترطا من العلمنة في البداية بحيث تتوقف هذه عند حدود العقيدة إلا انها تدريجيا وبشكل منطقي انتهت فيما بعد الى حمل الرؤية العلمانية الكاملة...

ويأتي على رأس هذه المجموعة (قاسم أمين، سعد زغلول، أحمد لطفي السيد، وطه حسين.)...

٥— المسيحيون المغتربون والمتغربون: (والمصطلح هنا كما هو الحال في المصطلح الذي اطلق على المجموعة السابقة للدكتور هشام شرابي، مغتربون لأنهم احسوا بالغربة في الوطن الاسلامي ومتغربون لأنهم ادركوا ان تمسكهم بقيم واهداف الغرب ورؤيته الحضارية انقاذ لهم من معاناة الغربة في الوطن الاسلامي).

ولقد قاد هؤلاء محاولات العلمنة في وطننا لأنهم فهموا انه من المستحيل حل مشكلة اغترابهم فيه دون علمنة الرؤية التاريخية وعلمنة المؤسسات والأسس التي يقوم عليها المجتمع والدولة، أي ضرب عملية بعث الاسلام كأيدلوجية قادرة على الفعل في وجه التحدي القادم.. (فرح أنطون، شبل شميل، ولويس عوض)...

وحيث اننا هنا بصدد دراسة الحركة الاسلامية الحديثة في مواجهة التحدي الغربي الحديث بمرحلتيه الكبيرتين... الاولى تبدأ بالحملة الفرنسية وتمتد حتى عام ١٩٢٨م، والثانية بدءا منذ عام ١٩٢٨م وحتى الآن.. فإننا سننظر الى المجموعتين الثانية والثالثة على انهما كانتا تكونان ما نصطلح على تسميته بالمرحلة الاولى من مراحل الحركة الاسلامية الحديثة.

لقد كان السلفيون بشقيهم المحافظ والمتنور أو الثوري كانوا أول رد حقيقي على التحدي القادم ودلالة على القدرة الفذة لهذا الدين على التجاوز والفعل فكانت هذه الحركة وبحق عاملا أساسيا في اليقظة الاسلامية الحديثة، قاومت الغزو الفكري، وناضلت ببسالة ضد المخططات الصليبية الاستعمارية. ولا ننسى في غمار الحديث عن هذه المرحلة ان ننوه بالدور الذي قدمه الغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية لهذه الحركة وفي هذا المرّحلة رغم ظهورهم قبلها بقرون...

* فإذا نظرنا لكل مجموعة على حده، وجدنا ان الوهابيين الذين ظهروا في منتصف القرن الثامن عشر أي قبل مجيئ الحملة الفرنسية بحوالي نصف قرن (ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣م) كانوا يمثلون أول رفض قوي للفساد الذي عم المجتمع الاسلامي ومحاولة جادة للعودة بالاسلام الى صفائه الاول الذي ساد عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والسلف الصالح ورأى ابن عبد الوهاب ان مشكلة المسلمين هي في ضعف عقيدتهم وان الحل هو العودة الى القرآن الكريم والسنة، وحارب البدع وأنكر تأويل القرآن ودعا المسلمين الى الزهد والتقشف والجهاد من اجل بناء المجتمع الاسلامي، كما فتح باب الاجتهاد الذي ظل قبله مغلقا لقرون طويلة...

* ثم كانت الحركة السنوسية (مؤسسها محمد بن علي السنوسي ١٧٨٧—١٨٥٩) والتي كانت متأثرة الى حد كبير بالوهابية من ناحية العودة بالاسلام الى صفائه الاول والعودة الى القرآن والسنة، ومحاربة البدع وفتح باب الاجتهاد، ولكنهم آمنوا ايضاً بالرؤيا والاتصال والكشف التي تحدثت عنها الصوفية.. وقد استطاعت هذه الحركة ان تنجح في اصلاح المجتمع البدوي وتحويله الى مجتمع متعاون ومنتج وان تقيم سلطة اسلامية على مناطقها، وان تنشر العلم عن طريق زواياها المنتشرة في صحراء افريقيا وان تصل الى القبائل الوثنية هناك ناشرة الاسلام فيما بينها.. ورغم الخطأ الذي ارتكبه المهدي الابن— ١٨٥٩—١٩٠٢— بمحاولته الابتعاد عن المنازعات الدولية، وبالتالي الوقوف موقفا سلبيا صامتا من الحركة المهدية في السودان والعرابية في مصر إلا ان الحركة وتحت قيادة الابن

نفسه اضطرت الى اعلان الجهاد ـ عندما وضع تقدم العدو الفرنسي في الصحراء الامور في نصابها ـ فأصبح لا مفر من الحرب والجهاد كسبيل للاستمرار..

* واضافة الى ذلك فقد كانت هناك المهدية في السودان (ولـد المهـدي الاول ١٨٤٤ـ١٨٨٥) والتي نادت ايضاً بالعودة بالاسلام الى نقائه الاول وبالتوحيد بين مذاهب أهل السنة وبمحاربة البدع ومحاربة الفساد السياسي، وقد قام المهدي بعد ان جمع حوله الانصار واستتب له الأمر بإعلان الثورة ضد الأنجليز. واستطاع ان ينزل بهم هزائم كبيرة وقد كان ينوي ان يتوجه الى غزو مصر بعد احتلال الخرطوم وعين وقتها ولاة على الشام ومراكش دون ان تصل سلطته السياسية لأكثر من حدود السودان.

* ولم تقتصر الحركة السلفية المحافظة على هذه الأتجاهات الكبرى فقط بل كانت هناك الألوسية في العراق ونسبة الى (ابي الثناء الألوسي) الذي نادى بتنقية الدين من الشوائب واتباع السلف الصالح في مسائل العقيدة، وكانت هناك ايضاً حركة الشوكاني صاحب نيل الأوطار في اليمن (ولد سنة ١٧٦٠م) والتي كانت في حقيقة الامر صدى للوهابية في شبه جزيرة العرب، وفي المغرب كانت هناك حركة المولى سليمان الذي حمل له الحجاج دعوة محمد بن عبد الوهاب فأعجب بها وعمل على نشرها وكذلك المولى حسن ثم الشيخ أبو شعيب الدكالي والشيخ ابن العربي العلوي ولكن وبرغم الدور العظيم الذي قام به السلفيون المحافظون فإنه كان من الصعب عليهم ان يتجاوزوا أزمة التحدي الغربي الحديث وذلك لتخلفهم عن ادراك الشرط الموضوعي، الامر الذي أدى الى فقدهم لسلاح هام وخطير في المعركة الكبرى، وهذا هو عين ما أدركه السلفيون المتنورون بقيادة الثائر العظيم جمال الدين الافغاني (١٨٣٩ـ١٨٩٦) والذي حدد منذ البداية (كل مسلم مريض دواؤه في القرآن)...

وكان من أهم القضايا التي طرحها ضرورة البعث الاسلامي وان يفهم المسلمون دينهم الفهم الصحيح، ويطبقوا تعاليمه وفي نفس الوقت كان مهتما بجعل الوطن الاسلامي قوة سياسية ناجحة وظل يصرخ في كل مكان داعيا المسلمين الى النهضة ورفض الاحتلال ومحاربته.. كما رفض الاصلاح التربوي الذي اعتمده بعد ذلك تلميذه محمد عبده كوسيلة حاسمة للتغيير واعادة مجد الاسلام مؤمنا بالثورة السياسية وبأنها الوسيلة المثلى لإعادة قوة الاسلام وقد قامت مجلته (العروة الوثقى) بتحليل وضع المسلمين وسبب تأخرهم وشرحت معنى الخلافة وأسباب تدهورها ودعت للمحافظة عليها بصفتها آخر معقل لتجميع الأمة الاسلامية، وقد كان يأمل خيرا في ثورة المهدي وبتغيير الوضع في ايران واصلاح الخلافة.

ويكتب البرت حوراني في كتابه (الفكر العربي في عصر النهضة) قائلا: (ترك الافغاني في جميع من عرفوه انطباعا قويا ولو لم يكن مبهجا عن رجل مخلص لعقيدته عنيد ومتقشف سريع



السيد جمال الدين

الغضب للشرف والدين عفيف يستحيل ترويضه)، ويقول عنه محمد عبده «أشد من رأيت محافظة على أصول مذهبه».

ورغم ان الاراء كادت ان تجتمع على ان الافغاني كان شيعيا إلا ان مذهبه الذي كان يعنيه الامام محمد عبده هو المذهب الحنفي.

وقد كان ينادي دوماً بإزالة الخلافات بين المسلمين حتى تلك التي بين الشيعة والسنة. ودعا أكثر من مرة الفرس والافغان الى الاتحاد رغم كونهم شيعة وسنة....

ولكن يبدو ان الافغاني.. هذه العبقرية الفذة.. قد جاء فردا متميزا متقدما على عصره، حيث يعم الجهل والتخلف وترك الاجتهاد والتخاذل عن الجهاد في مرحلة المد الاستعماري الصليبي في كل الوطن الاسلامي... ولكن على الرغم من ذلك فإن اطروحاته بقيت منارا لأجيال ستأتي...

ويقف مع جمال الدين الافغاني في هذه المرحلة كسلفي متنور الامام محمد عبده خاصة في المرحلة الاولى من حياته حيث تأثر بجمال الدين الافغاني تأثرا بالغا وكان احيانا كثيرة الناطق الرسمي بأسمه، والمعبّر عن افكاره (لم يكن الافغاني يحب الكتابة كثيرا)... وعندما نفي الافغاني وبعد دخول الانجليز مصر، دخل محمد عبده السجن لوقوفه ـ واخيرا ـ بجانب حركة عرابي ومشاركته فيها، لينفى بعدها الى خارج البلاد حيث يلتحق بالافغاني وينتقل من بيروت الى باريس فلندن وتونس ويحاول محمد عبده بعد ذلك دخول السودان عن طريق مصر متنكرا للاتصال بالمهدي ولكنه يفشل ويعود الى بيروت ثانية... وفي عام ١٨٨٨م عاد الامام محمد عبده الى مصر ثانية ليبدأ مرحلة جديدة في حياته وضح فيها تماما غياب تأثير الافغاني وتبنيه للاتجاه الاصلاحي التربوي، ورفضه للنضال السياسي كوسيلة للثورة. وهكذا لم تكن هذه المرحلة من حياته فوق الشبهات خاصة وانه عاد بعد نفيه الى العمل الرسمي بعد ان تعهد بالهدوء تجاه الخديوي للورد كرومر الذي توسط له في ارجاعه الى عمله وقد وقف منه المناضل المسلم مصطفى كامل موقفا نقديا رافضا في هذه المرحلة وعاب عليه اهتمامه بالنفوذ الرسمي، وفي المقابل شك محمد عبده في النتائج المرجوة لنضال مصطفى كامل السياسي. والذي يدعنا نقول ان المرحلة الثانية من حياة الامام محمد عبده ليست فوق الشبهات ليس فقط ما نذكر بل وايضاً تخرج طابور من العلمانيين كانوا قد تتلمذوا على يد الامام ولا يني ذلك زعم رشيد رضا ـ تلميذ الامام عبده ـ

والذي يعتبر ايضاً رائدا سلفيا بأن هؤلاء قد خرجوا على خط الامام ، وانه هو فقط الذي

وقبل ان ننتهي من الحديث عن هذه المرحلة لابد من الاشارة الى حلقة الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥١—١٩٢٠) في سوريا حيث كانت قضية البعث الاسلامي وتجاوز أزمة التحدي ووحدة العالم الاسلامي هي موضوع الحلقة المركزي .. كما لا يمكننا ان نغفل عناصر ثورية اسلامية ومتنوره كمصطفى كامل وعبدالله النديم وكذلك محمد أقبال في باكستان الذي دعا الى تضافر العقل والوجدان والارادة لبناء مجتمع اسلامي وذلك من خلال فلسفة جديدة ومنظومة شعرية رائعة ...

وهكذا انتهت مرحلة بكاملها ، لتبدأ مرحلة جديدة تحت ظل خطر الليبرالية العلمانية المتصاعدة فكريا وسياسيا وتحت ظل الخطر الناجم عن سقوط دولة الخلافة وتحت تأثير افكار الافغاني ورشيد رضا وأقبال وتيار الجامعة الاسلامية بشكل عام ، مرحلة جديدة تبدأ عام ١٩٢٨م هي مرحلة التنظيم الاجتماعي الفعال الذي تمثل بحركة الاخوان المسلمين في مصر والعالم العربي لتشمل بعد ذلك الوطن الاسلامي وحركة الجماعة الاسلامية في باكستان والهند.

واذا كان الافغاني يقف علما على رأس المرحلة الاولى فإن الامام الشهيد حسن البنا يقف علما على رأس المرحلة الثانية .. هذه المرحلة التي تميزت الى ثلاثة اجيال بدءا من عام ١٩٢٨م ...

*** الجيل الأول (١٩٢٨—١٩٤٩) أو جيل البعث :**



الأمام الشهيد حسن البنا

ومنه طرح الامام الشهيد الاسلام بكل شموله شريعة تنظم كل جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع بالاضافة الى كونه عقيدة وعبادة. وخلال عشرين عاما استطاع الامام ان يبعث هذه الأمة من تحت الركام وان يطور مفاهيم الحركة خلال هذه الفترة بتسارع ثوري متقدم مستلها القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح بالاضافة الى الممارسات اليومية التي كانت تصوب هذه المفاهيم وقد استطاع هذا الجيل من الحركة اعادة الثقة الى الفرد المسلم وللمثقف المسلم وللمجتمع المسلم ولطرح الاسلام وبشكل ثوري ضد البدائل العلمانية التي طرحها الاستعمار منذ ظهور التحدي وحتى ذلك الوقت .. ولقد كانت حرب فلسطين التي خاضتها

الحركة الاسلامية تتويجا لوعي وفهم هذا الجيل لطبيعة التحدي الغربي الحديث الذي بدأ يتجسد في فلسطين صداماً عسكرياً محتوماً ... ولكن تنطلق رصاصات غادرة في فبراير عام ١٩٤٩ ويتوقف نبض الامام لتبدأ ملامح جيل جديد ..

*** الجيل الثاني (١٩٤٩—١٩٦٧م) جيل التردد والمحنة :**

لا نستطيع ان نقول ان عملية البعث التي بدأت مع الجيل الاول قد توقفت ولكن مما لاشك فيه ان ضربة قاسية وقاسية جدا قد وجهت الى الحركة الاسلامية التي وقعت في الحيرة والتفكك (يراجع النصوص الاولى من كتاب حسن عشماوي «الاخوان والثورة»).

وبقدر ما كانت هزيمة ١٩٥٤م ذات ابعاد خارجية ، فإنها كانت وبنفس القدر بل وأشد تحمل عواملا داخلية بحتة .. وفي جانب من جوانب التحليل فإنها كانت تعني ان الحركة الاسلامية وطيلة خمس سنوات لم تستطيع استيعاب الضربة التي وجهت اليها باغتيال الامام الشهيد .. بل وفي ظل تخبط واضح استطاع انقلاب يوليو ١٩٥٢م ان يحدث انقساما داخل حركة الاخوان المسلمين مستميلا بعض العناصر حتى تلك التي كانت في الجمعية التأسيسية أو في مكتب الارشاد .. ورغم ان الضربة كانت قد وجهت عام ١٩٥٤ إلا ان التحليل التنظيمي لهذا الجيل أصبح ظاهرا للعيان في نهاية الخمسينات حيث خرج من المعتقلات الكثيرون ممن تنكروا للتنظيم واحنوا رؤوسهم للسلطة بينما بقيت بعض العناصر في الجهاز الخاص وأقلية اخرى تعاني من قسوة ارهاب السلطة التي سحبت البساط من تحت اقدام الحركة الاسلامية.

لا ننكر قسوة المد العلماني الرهيب في تلك المرحلة وظهور مايسمى بالحركات الوطنية الثورية سواء بسقوط الامبراطورية الهولندية في أقصى الشرق في اندونيسيا أو بسقوط فرنسا في ريف المغرب والجزائر بعد ذلك على الجانب العربي. وان كان الاسلام هو الذي أشعل روح الجهاد على قطبي هذا المحور وامتداده (محور طنجة جاكرتا حسب تعبير المفكر المسلم مالك بن نبي) فإن الملامح الاسلامية كانت تتوارى باقتراب استلام ماسميت بالقيادات الوطنية للسلطة .. حتى اوشكت هذه الملامح على الاختفاء تماماً ..

وبالاضافة الى ما تقدم فان هذا يعود ايضاً للغياب التام للحركة الاسلامية كحركة ثورية تملك نظرية متكاملة في مواجهة تكنولوجيا الغرب وعملائه ولعدم وضوح الرؤية كنتيجة لغياب التحليل العلمي وفوضى للمفاهيم التي لم تستطيع ان تتصور الهدف والمنطلق والوسيلة بالاضافة لغياب الوعي التاريخي وانعدام التثقيف السياسي لكوادر الحركة .. أي باختصار الجهل بأغلب عناصر المعادلة الرئيسية المطروحة معادلة التحدي الغربي الحديث للوطن الاسلامي ..

كما واجه هذا الجيل ايضاً بالاضافة لتفشي هذه الظواهر الوطنية المسمّاة ثورية .. واجه ظهور اليسار أو ما عرف بالعقائد الاجتماعية ذات المحتوى التقدمي ، كموضة جديدة تحمل جاذبية

خاصة ولكنها هنا ايضاً وقفت سلبية عاجزة عن طرح البديل وغابت من امام هذا السيل الجارف... وسط كل هذا عاش الجيل الثاني منكفئا على ذاته.. يجتر آلامه وامجاد السلف الصالح البعيد والقريب بل ووقف متهما رافضا لمحاولات التجديد.. ولكن وقبل ان نترك هذا الجيل لابد من الاشارة الى محاولة حزب التحرير الاسلامي للخروج من دائرة المحنة والتردد... ولكن هل استطاع الحزب ان يخرج فعلا.. والى أي درجة، وما الذي قدمه كل هذا لابد من ان يكون مجال دراسة موسعة ان شاء الله...

أما المحاولة الاخرى فهي المحاولة الجادة للشهيد سيد قطب لإنقاذ الحركة الاسلامية بطرح مفاهيم بشكل محدود جذري وثوري. ولكن هذه المحاولة التي تمثلت في الشكل التنظيمي الذي طرحه سيد قطب وكتابه الرائد (معالم في الطريق) بالاضافة الى تفسيره العظيم (في ظلال القرآن) هذه المحاولة ستترك اثارها الحقيقية على الجيل الثالث وعلى شباب هذا الجيل اكثرمما إنعكست على الجيل الثاني الذي فشل في استيعابها بل ووقفت منها موقف المتشكك والمتردد والمتهم.. ومع قولنا بجدية وعظمة هذه المحاولة فإننا نقف موقفا نقديا صارما تجاه من اسموا انفسهم بالقطبيين ومن ساروا على دربهم في التأويل المتعسف لأفكار سيد قطب.. هذا التعسف الذي قاد في النهاية الى ظهور (جماعة المسلمين) أو ما يسمى (بالتكفير والهجرة).

*** الجيل الثالث (١٩٦٧م وحتى الآن. جيل الوعي والثورة:**



وفجأة تكشف كل شئ في سماء المنطقة وتبين ان هذا المد الثوري الوطني لم يكن إلا خدعة كبرى في حياتنا، فجأة تبين ان الاستعمار الذي انسحب عسكريا، عاد أشد خبثا بالوسائل الاقتصادية والسياسية ووسائله الخفية الأخرى... وان ما سمى بمرحلة الثورة الوطنية لم تكن إلا فترة كمون سلخ فيها الاستعمار جلده وعاد أشد شراسة.. فجأة اتضح ان الدول الاستعمارية ازدادت ترفا واننا ازددنا فتقدمنا كمجتمعات منتجة وانحدرنا كحيوانات استهلاكية.. لقد كانت نكبة ٦٧ تحولا دراماتيكيا مذهلاً جمّد كل شئ في مكانه لتصحو أمتنا على نعي مرحلة بأكملها.. نهاية قاسية قادت اليها مرحلة طويلة من التبديد

والضياع. ولكن هل كان على العدو ان يستسلم.. هل كان على قيم الخنوع والاستهلاك التي فرضتها التكنولوجيا ان تنسحب من حياتنا بسهولة، وهل كان على الثورة الايرانية ان تمر على طريق مفروش بالزهور لأجل ان تحقق انتصارها المذهل على قيم الخنوع والاستهلاك.. انتصار الايمان والطهارة والروح في عصر التكنولوجيا.. بالتأكيد لا.. بل بدا ان الامور تسير بشكل اسوأ في البداية.. فوجه العملة الذي أبرز للوجود عبدالناصر — نهرو — نكروما.. يختفي ليظهر وجه العملة الآخر.. معمر القذافي — عيدي امين — صدام حسين.. واصبحت المخابرات الامريكية، أو هيئة الامن القومي الفرنسية موجودة بشكل رسمي أو شبه رسمي، مسيطرة على مجريات الأمور في كثير من دول الوطن الاسلامي ومناطق اخرى في امريكا اللاتينية وأفريقيا.. هذا بالاضافة للوجود السرطاني في نفس المنطقة للشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية..

(ان الاسلام وحده كدين وحضارة هو الشرط الوحيد لبقائنا واستمرارنا كأمة وثقافة في وجه التحدي الغربي الحديث السياسي والثقافي على السواء) (توفيق الطيب)... وهكذا سيتجاوز جيل الوعي والثورة مرحلة المحنة والتردد، وستتقدم بعملية البعث الى نهاياتها المنطقية مستلهما في المنطقة العربية بالذات تجربة الامام الشهيد حسن البنا، ويقدم اطروحة النصر والفرح المقدس في ظل اطروحة الوعي والثورة والشهادة...

لقد كان ظهور هذا الجيل امرا حتميا على الصعيدين الداخلي والخارجي لم يكن بالامكان استمرار السكونية والجمود وتصلب الشرايين... لم يكن بالامكان استمرار غياب مثل هذا الجيل والبدائل الاستعمارية العلمانية تتهاوى وتسقط...

ومنذ البداية كان على هذا الجيل ان يخوض معركته على مستويين، الاول حيث المعركة الحاسمة مع الجاهلية والطواغيت والبقايا المهترئة للبدائل التي طرحها الاستعمار، والثاني حيث المعركة التي قد يضطر لدخولها مع الاجنحة المتخلفة في الحركة الاسلامية نفسها، هذه الاجنحة التي عجزت عن فهم نفسها وفهم الآخرين وفهم العصر والعلاقات القائمة.. أو تلك الاجنحة التي تركز على جانب من الاسلام أو تلك وتهمل الجانب الآخر أو تلك التي تقبل مهادنة الأنظمة الكافرة وتراهن بذلك على الجانب المظلم المتنحي من التاريخ، كما يحدث في الأردن ومصر الى حد ما.

ان أمام جيل الوعي والثورة مهاماً شاقة في اعداد نفسه... واحداث البعث الاسلامي والاستمرار في الثورة بعد ان يحدد المفاهيم والمنطلقات والوسائل والاهداف... بشكل علمي من خلال الدراسات العميقة الجادة والتحليل والنقد ذلك ان الوعي هنا يعني الوعي العميق بالاسلام وبالمشكلات الاسلامية المعاصرة وهذا يتطلب منا... ايمانا اساسه المعرفة.. وعملا اساسه العلم... ووعيا سياسيا بواقع العصر... والتزاما خلقيا بمعايير الاسلام..

باختصار ...

● أطلقت سلطات القذافي في الشهور الأخيرة عشرين من اعضاء سابقين في حزب البعث (جناح العراق) وكانوا ضمن مجموعة اعتقلت في أوائل عام ١٩٨٠ وكانوا قد قدموا لمحكمة بتهمة الإنتماء إلى تنظيم غير مسموح به حكمت ببرائتهم. إلا ان بناء على أمر من السلطات ظلوا في السجن إلى أن قدموا للمحكمة الثورية الدائمة. يعتقد ان اطلاق سراح هذه المجموعة جاء لأجل ارضاء العراق التي بدأ القذافي في السعي للتقرب اليها أخيرا.


عرفات: إلى متى

● أحد المسؤولين الفلسطينيين في تونس قال: «أن طرد قوات فتح من البقاع الذي نفذته القوات السورية كان أحد شروط وقف اطلاق النار». عملية حصار وطرد قوات فتح تمت ٢٤ ساعة بعد اقرار وقف اطلاق النار بوساطة سعودية، ولازال عرفات يعتقد أن السعودية معه!

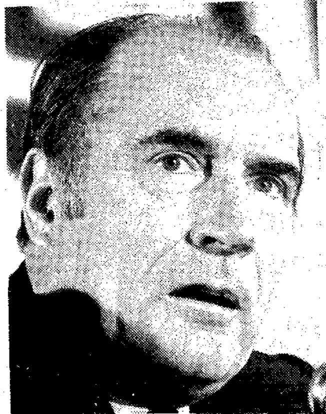
● المباحثات الفرنسية-المصرية الأخيرة في الجلسات بين مبارك وميتران ركزت على التنسيق بين الدولتين في حرب الخليج، الهدف طبعا دعم صدام.

● تستعد منظمة التحرير الفلسطينية لإصدار مجلة عسكرية في تونس يشرف عليها العقيد حسن أو لبدة. المجلة ستحمل اسم: «المجلة العسكرية الفلسطينية» وستعالج الدراسات الأكاديمية العسكرية والتاريخية. يفترض أن يصدر عددها الأول في بداية العام القادم ١٩٨٤.


اندروبوف: عبثا يحاول

● اندروبوف أرسل إلى أحد رؤوساء الجمهوريات العربية طالبا منه التوسط لدى ايران لصالح قادة حزب توده الذين أعلنت اعترافاتهم عدة مرات على التلفزيون الايراني بأنهم عملوا كجواسيس لموسكو. النتيجة معروفة: أن لا فائدة. والعدالة الإسلامية ستأخذ مجراها.

● وزير نفط الإمارات مانع سعيد العتيبة قال في ندوة خاصة عن الطاقة في جامعة اكسفورد أن أوبك ستدافع عن معدل الأسعار الحالي حتى لو أضطرت إلى خفض سقف مستوى الإنتاج الحالي إلى أقل من ١٧,٥ مليون برميل يوميا لكل دول أوبك. من المعروف أن أسعار أوبك -٢٩ دولار- الحالية والتي تعتبر تراجعا عن أقصى ثمن للبرميل الواحد في تاريخ أوبك والذي بلغ ٣٤ دولار للبرميل؛ تتعرض الآن للاهتزاز مرة أخرى في محاولة للدول الصناعية لسحق سوق النفط وابقائها تحت سيطرتها.


ميتران: الإستعمار من جديد

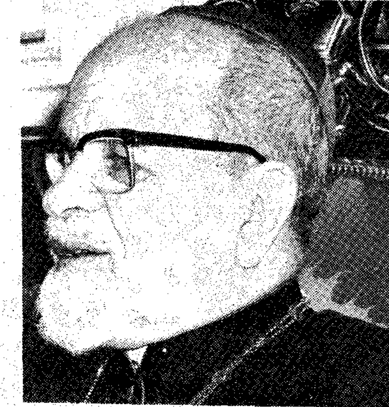
● الرئيس الفرنسي ميتران في زيارته المفروض أن تتم مع صدور هذا العدد إلى تونس سيبحث مسألة التونسيين المقيمين في فرنسا والبالغ عددهم ربع مليون تونسي، الأرجح أن حكومة ميتران ستواصل جهودها الأمبريالية وستفرض الكثير من القيود على دخول وبقاء العناصر التونسية المعارضة للنظام الحالي في تونس.

● في صحيفة الاهرام القاهرية وفي ٩/١٤ السابق نشر الاعلان التالي: «يستقبل معهد الدراسات القبطية بمقره بالانبا رويس بالعباسية منذ اليوم حملة الشهادات العليا الراغبين الالتحاق بأحد اقسامه وهي: اللاهوت. التاريخ القبطي. اللغة القبطية. الفن القبطي. الألحان القبطية. الآثار والترميم. التصوير والميكروفيلم. الاجتماع والتربية والقانون الكنسي. الدراسات الأفريقية».

ليس لدينا ما نعلق به إلا أن ندعو للتأمل حول ما إذا كان في مصر.. ورسميا.. امتان وموميتان ودولتان تخططان لمستقبل مصر؟!

● حسني مبارك مازال رافضا معاودة الاحتفال بذكرى ٦ أكتوبر، كانت الاحتفالات قد توقفت مباشرة بعد سقوط السادات ظهر ٦ أكتوبر ١٩٨١م في منصة الاحتفال الرئيسية بالذكرى وذلك في العملية الكبرى التي قادها البطل الشهيد الملازم خالد الاسلامبولي.

● أثناء اشتعال المعارك في جبل لبنان كانت الاتصالات لا تنقطع بين الكاردينال خريش الماروني والبابا في روما عبر السفير البابوي في بيروت، وعندما اتضح التراجع الكتائبي صرخ الكاردينال طالبا تدخل الفاتيكان حيث سارع البابا بالاتصال بعواصم الدول الغربية دافعا أياها لايقاف اكتساح الكتائب في الشوف.



خريش: انقذونا

● أعلن في طهران أنه قد تم انجاز ٨٠٪ من عمليات استحداث المصنع الكبير لصناعة الجرارات الزراعية في مدينة «تبريز» وسيتم نصب وتشغيل بقية أجزاء المصنع بيد العاملين الايرانيين. وأعلنت وزارة الصناعات الثقيلة: أن مصنع الجرارات الزراعية في تبريز سيوصل ايران إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، وأنه يعتبر بأقسامه وأفرانه من أكبر المشاريع الصناعية في ايران.

بتاريخ ١٩٨٣/٩/٢٣ الموافق ١٤٠٣/١٢/١٦هـ وفي وقت متأخر من الليل، قامت السلطات الكويتية بأعتقال الشيخ حسن مكي الخويلدي أمام مسجد منطقة حولي (مسجد البحارنة) وقد قادت السلطات الكويتية الشيخ الخويلدي من منزله مع زوجته وعدد من أقربائه بما فيهم ثلاثة أطفال إلى جهة غير معلومة.

ويواجه الشيخ الخويلدي خطر تسليمه للسلطات السعودية التي ستقوم كالعادة بتنفيذ ممارسات لا أنسانية بحقه.

والشيخ الجليل هو شخصية دينية معروفة لدى المسلمين في الكويت، كما أن له نشاطات فكرية أسلامية أخرى.

وهو يحمل الجنسية السعودية ومقيم في الكويت منذ عامين ونصف.

● الاستمثار العربي في الولايات المتحدة عام ١٩٨٢م وصل إلى ٧٨ بليون دولار وقد جاءت هذه الأموال من: السعودية، الكويت، الإمارات، ودولة قطر. أكثر من نصف المبلغ —حوالي ٤٤ بليون دولار— استثمر في سندات حكومية أميريكية وهذا الجزء جاء معظمه من السعودية.

● الصادق المهدي، زعيم الانصار السودانيين، والذي مازال محافظا على موقع معارضة النميري رغم مظاهرة اعلان تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان التي أعلنها النميري، يتعرض الآن لحركة منافسة في داخل الانصار يقودها أحمد المهدي أحد ابناء العائلة وبدعم من النظام، في الوقت الذي ألقي عليه القبض من قبل حكومة النميري الإسلامية ومجموعة من أصدقائه بدون أي حق قضائي.

● مصادر فلسطينية ذكرت أن ٧٠ ضابطا ومسؤولا فلسطينيا على محكمة أمن الثورة الفلسطينية بتهمة التقصير وعدم أداء الواجب خلال عملية الغزو الاسرائيلية للبنان. هكذا نشرت إحدى المجلات العربية اللندنية.

ونلتقي ...

وماذا بعد؟ أقد نسيتني في زحمة الكلمات وضجيج الساعات اليومية.

أنا هنا محاصر بالمنى، بالجوع إلى اللغة، بالحنين إلى البلد البعيد القريب.. أيها الوطن المطلق في متناول صوتي.. لا تبتعد!.

ذاتي هي ذاتي، وأنا –مازلت– أنا، رغم كل شيء، رغم آلاف الكلمات الخارجة، لازال العشق يأخذني براحتيه كل ليلة إلى تلك الأيام. هل تدري! أصبحت مصر لا تغادرني، أحلم كل ليلة بالمعجزة التي تعيد مصر إلى مصرها وقد تعيدني إليها. ليس حنيناً غريباً.. أليس كذلك؟

أحس أحيانا أنني أخذت من الحياة كل شيء، جربتها حتى الثمالة، ولا أرى أمامي إلا خيار الذهاب، كل شيء يتضح، الجنة أو النار، كالشمس تتضح الأشياء. كنت في السجن قد كتبت فكرة سميتها الاستواء وخلاصتها ان الابتلاء بالسجن ينتهي عندما يشاء الله أولاً وقبل كل شيء، وثانياً عندما يستوي في نفس المبتلى السجن والحرية، وعندما يستويان بالنسبة لحالة الرضا عن القدر والمشيئة، وبعدها بأيام قليلة خرجت وأنا أشعر بالخجل من نفسي. كيف أخرج وأنا لم أستكمل الرضا؟ لقد كان توقي إلى الحرية عظيما ولم تستوي عندي الحرية والسجن.

هل كنت مخطئا؟ ربما!

لكن أشعر الآن أن السجن قد يكون حطم داخلي شيئا أظنه ذلك الشوق القديم للحياة اليومية.. فما شوق آخر يشتعل في جوفي.. شوق آخر كبير.

باسل..
بعد عام من الحرية



الطليعة الإسلامية

ساحة كل المسلمين

* إسلامية شهرية تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات والنشر – لندن.

* ثمن العدد:

بريطانيا ١ جنيه استرليني. أوروبا وأمريكا ١.٥٠ جنيه استرليني أو ما يعادلها. مصر ٥٠٠ مليماً. دولة الإمارات ١٠ درهم البحرين ٥٠٠ فلساً. قطر ١٠ ريالات. الكويت ٥٠٠ فلساً. السعودية ١٠ ريالات. اليمن الشمالية ٥ ريالات. اليمن الجنوبية ١٠ شلن. الأردن ٣٠٠ فلساً. سوريا ٥ ل. س. لبنان ٥ ل.ل. العراق ٤٠٠ فلساً. ليبيا ٤٠٠ فلساً. تونس ٥٠٠ مليم. المغرب ٥ درهم. الجزائر ٥٠٠ سنتيم. السودان ٤٠٠ مليماً. عمان ٥٠٠ فلساً.

* الأشتراك السنوي: ١٥ جنيهاً استرلينياً أو ما يعادلها
وترسل الأشتراكات الى:

London-Barclays Bank No 20-05-30 Account No 61325671

* المراسلات والأشتراكات على العنوان

B M BOX 27
LONDON
WC IN 3XX

أو

P.O. Box 21006
Greensboro, N.C. 27420, U.S.A.

